المَسْجِد الأعْظَم في غَرْنَاطَة فيما بَيْن القَرْنَيْن (5- 8هـ/ 11- 14م)، دراسة آثاريّة مِعْماريّة.

The Great Mosque in Granada Between the Two Centuries (5- 8 AH/ 11- 14 AD): An Architectural Archaeological Study

رامي ربيع عبد الجواد راشد
كلية الآثار، جامعة الفيوم

rra00@Fayoum.edu.eg

الملخص:

نَشَطَت حَرَكة الاسْتِرْداد الصَّلِيبيّة في بلاد الأنْدَلُس بَعد أن سَقَطَت حاضرة طُلَيْطِلَة عام 478هـ/ 1085م، وكان التَّوَجه السائد للمُتَغَلِّب النَّصْرَانيّ- وقْتئذ وخلال العُصور اللّاحقة- هو إبادة كُل ما له صِلة بالحضارة الإسلامية، وعلى وجه الخصوص ما له علاقة بالدِّين الإسلامي، الأمر الذي تَرَتَّب عليه تَحْويل أماكن عِبادة المُسْلِمِين مِن مَساجد إلى كَنَائس وكَاتدرائيات، مثلما حَدَث- على سبيل المثال- في جامع حاضرة طُلَيْطِلَة، جامع حاضرة سَرَقُسْطَة، جامع حاضرة إشْبِيلِيّة، جامع حاضرة أَلْمِرْيَة، جامع حاضرة مَالَقَة، إلى غيرها من المساجد الجامعة- ودُون الجامعة- بالحواضر الأنْدَلُسيّة الكُبرى، وبهذا التَّوَجه الصَّلِيبيّ المُتَعَصِّب فَقَدَت حضارتنا الإسلامية الأنْدَلُسية، كثيرًا من مُقَوِّماتها وخَصَائصها المُتَفَرِّدَة، بَعدما بَاتَت مِن حِينِها مجهولةً إلى الوقت الحاضر.

كانت مدينة غَرْنَاطَة- قَبْل اسْتِسْلامها عام 897هـ/ 1492م- المَلَاذ الأخير لمُسْلِمِي الأنْدَلُس، في ظلّ حُكْم سَلاطين بَنِي نَصْر، كما كان مسجدها الجامع- بما له مِن مَكانة دِينيّة- القَلْب النّابِض بتلك الحاضِرة، بيد أنه لَمْ يَسْلَم هو الآخر من ذلك التَّوَجه الصَّلِيبيّ المُتَعَصِّب، إذ سُرعان ما بُدأت أشْغال الهَدْم به- بَعد تسعة أعوام فقط من تاريخ سُقوط المدينة- ليَتَحوّل من مسجدٍ جامعٍ إلى كَنِيسة ثم إلى كَاتدرائيّة عُظْمَى، عُرفت باسم "سَاغْرَارْيُو"، (Sagrario)، وهكذا انْدثر المسجد الجامع بمدينة غَرْنَاطَة، فلَمْ يَعُد له أثرٌ بَعْد عَيْنٍ، إلا أنه مِن حُسْن الحَظ، ثَمّ بعض الإفادات التاريخية المُهمّة، التي سَجَّلها أحد الرّحالة الأَلْمَان، حول جامع غَرْنَاطَة، بعد سقوط المدينة بعامين فقط، وكان لا يَزال بحالته المِعْمارية الكَاملة، إضافة إلى بعض الإشارات المَنْثُورَة بالمصادر التاريخيّة العَرَبيّة، فضلًا عن بعض المُخططات، ولَوْحات الرّسامين الأُوروبيّين، أَمْكَن من خلالها جميعًا، وَضْع صُورة واضحة المَعالم حول عمارة ذلك المَسجد الجامع خلال العصر الإسلاميّ، الذي قام بعض الباحثين الإسبان- وغيرهم- بالحديث عنه في دِراسات مُتَخصصة، غير أنها لَمْ تَكُن- في مُجْمَلِها- وَافِية، فضلًا عمّا انْضَوَت عليه من آراءٍ ووجْهات نَظَرٍ، هي بحاجَة إلى إعادة طَرْحٍ ومُناقشة.

الكلمات الدالة: عِمارة، المَسْجد الأعْظَم، غَرْنَاطَة، بَنُو زِيرِي، المُرَابِطُون، بَنُو نَصْر.

Abstract:

The Crusades movement became active in Andalusia after the fall of Toledo in 478 AH / 1085 CE, The prevailing trend of the Christian victor- at that time and during the subsequent ages- was to annihilate everything related to Islamic civilization, and in particular what was related to the Islamic religion, This resulted in the conversion of Muslim places of worship from mosques to churches and cathedrals, As happened - for example - in the mosque of Toledo, the mosque of Zaragoza, the mosque of Seville, the mosque of Almería, the mosque of Malaga, and other great mosques in the major Andalusian capitals, With this fanatical crusader orientation,

our Andalusian Islamic civilization has lost many of its components and unique characteristics, after it has become unknown from then to the present time.

Granada - before its surrender in 897 AH / 1492 AD - was the last refuge for the Muslims of Andalusia, under the rule of the Sultans of Bani Nasr, Its great mosque - with its religious status - was the beating heart of that city, However, it was not spared from that fanatical crusader orientation, The demolition process soon began in the mosque - only nine years after the date of the city's fall - to turn it from a great mosque into a church and then into a great cathedral, known as "Sagrario", Thus, the great mosque in the city of Granada ceased to exist, and it no longer had any trace of it, However, fortunately, there is some important historical information, written by a German traveler, about the Mosque of Granada, only two years after the fall of the city, when the mosque was still in its complete architectural condition, In addition to some information in Arab historical sources, some plans, as well as some European painters' paintings, Through all of them, it was possible to prepare a comprehensive study on the architecture of that mosque during the Islamic era, which some Spanish researchers- and others- talked about in specialized studies, but it was not - in its entirety – sufficient, In addition to the opinions and points of view it contained, it needs to be re-presented and discussed.

Key words: Architecture, The Great Mosque, Granada, Banu Ziri, Almoravids, Banu Nasr.

أهداف الدراسة.

في ضوْء ما سَبق، تَهْدف هذه الدراسة إلى مُعالجة النقاط الآتية:

1- مَاهِيَة تَخطيط وعمارة جامع غَرْنَاطَة، وِفْق ما كان عليه خلال العصر الإسلامي.

2- إبراز الخصائص المِعْمارية لتخطيط وعمارة جامع غَرْنَاطَة، وأَوْجه الاتفاق أو الاختلاف بينها وبين المساجد الجامعة بالحواضر الأنْدَلُسيّة الأخرى، وعلى وجه الخصوص منها جامع قُرْطُبَة، الأمر الذي ثَبَتَ من خلاله الصّلة الوثيقة بين جامع غَرْنَاطَة وبين "الطّراز المِعماريّ القُرْطُبِيّ".

3- عَرْض ومُناقشة وِجْهات النَّظر التي سَبَق أن طَرَحها الباحثون الإسبان، وإثبات عَدم صِحّة عديدٍ منها، بما تَرَتّب عليه الإدْلاء بمُعْطياتٍ جديدةٍ حَوْل تخطيط وعمارة جامع غَرْنَاطَة.

4- دراسة وتأريخ مُلحقات الجامع المِعمارية، التي لَمْ تُشِر إليها الدراسات السابقة.

منهج الدراسة.

هذا ما سيتم دراسته بشئ من التفصيل، اعتمادًا على المَنْهجين الاسْتِقرائي، والتّحليلي.

مقدمة.

اتّسَم عَصْر حُكّام دُويْلات الطّوائِف بالأنْدَلُس (422- 484هـ/ 1030- 1091م)، بأنّه كان عَصْر تَشَرْذُمٍ وضَعْفٍ سِياسي إلى حدّ بَعيد، على الصّعِدين الدّاخلي والخارجي[1]، كما أَصْبح خَطَر النَّصرانية يَتزايد ويَتفاقم يومًا بَعد يوم، حيث سَقَطت حاضرة طُلَيْطِلَة عام (478هـ/ 1085م)، في قَبْضة أَلْفُونْسُو السّادس (Alfonso VI)، مَلِك قَشْتَالَة، الأمر الذى حَدَا بأمير حاضرة إِشْبِيلِيَّة، المُعْتَمِد على الله ابن عَبّاد، إلى استدعاء يُوسُف بن تَاشُفِين، أمير دَوْلة

[1]- عن عصر دُويْلات الطّوائف، وأحواله السياسيّة الداخلية والخارجية، انظر على سبيل المثال: ابن عذاري، أبي العباس أحمد بن محمد. البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب. دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 1434هـ/ 2013م، جـ2، ص411- 512.، عنان، محمد عبد الله. دولة الإسلام في الأندلس. مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001م، جـ3، ص20 296.، دوزي، رينهارت. ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام. ترجمة: كامل الكيلاني، دار الوراق، بيروت، لبنان، ط1، 2015م، ص13- 210.

المُرابطين اللمْتُونيّة، من حاضرة مُرّاكُش بأرض العُدْوَة، طَلَبًا للعَوْن والنُّصرَة في جِهاد أعْدائهم من النَّصارى، إلى أن كان الانتصار السّاحق للمُسْلِمين في الأنْدَلُس، بقيادة يُوسُف بن تَاشُفِين، على نَصارى قَشْتَالَة بزَعَامَة أَلْفُونْسُو السادس، في مَعركة "الزَّلَّاقَة"، عام (479هـ/ 1086م)[2].

كانت تلك الحادثة بداية عهْد جديد في التاريخ السياسي لبلاد الأنْدَلُس، بعدما وَطِئَت أقدام أولئك المُرابطين أرض تلك البلاد، فما لَبِث أن عاد حُكّام دُويلات الطوائف إلى سابق عهْدِهم من التّصارع والتّنازع فيما بينهم، واستعانةً بالنّصارى ضد بعضهم البعض، مع تَكَالب مُلوك قَشْتَالَة ولْيُون- في الوقت ذاته- على بلاد شَرْق الأنْدَلُس، الحال الذي دَفَعَ بالأمير يُوسُف بن تَاشُفِين إلى الكَرَّة، والجَوَاز مَرّة أخرى من أرض العُدْوة إلى بلاد الأنْدَلُس، للقضاء على تلك المَمَالِك المُتناحرة، حفاظًا على دَوْلَة الإسلام هنالك، فاسْتَسْلمت غَرْنَاطة عام (483هـ/ 1090م)، ثم تَلَتْهَا قُرْطُبَة، فإشْبِيلِيّة، ومن بعدهما ألْمِرْيَة عام (484هـ/ 1091م)، ومنذ ذلك الحِين تَهَاوت دُويْلات الطَّوائف بالسُّقوط الواحدة تِلْو الأخرى، حتى أضْحَت بلاد الأنْدَلُس تحت التّبعِيّة السياسيّة المُباشرة للحُكْم المُرابطي[3].

استطاع المُرابطون أن يُوَحّدوا- نِسْبيًا- بلاد الأنْدَلُس مَرّة أخرى، بَعد التّفكك الذي أصابها خلال عَصْر دُويْلات الطوائف، فبَذَلُوا جُهودًا كُبرى في تَوْطيد سُلْطَتهم، وإعادة تَحْصين المُدُن والثُّغور، وإمدادها بالأجْناد والقُوّاد، وشَحْنها بالعُدَد والعَتَاد[4]، ولَمْ تَكُن مدينة غَرْنَاطَة في هذا أَقلّ حظًا من غيرها، حيث أفادت المصادر التاريخية أن الأمير تَاشُفِين، لمَّا وَلَّاه أَبُوه علي بن يُوسُف أَمْر غَرْنَاطَة، قَوَّى حُصونها وسَدّ ثُغورها، وعَمَدَ إلى رَحْبَة القَصْر، فأقام بها السّقَائف والبُيُوت، واتخَذَها لخَزْن السّلاح ومَقَاعد الرّجال، وضَرْب السّهام، وعَمَل الدُّرُوع وصَقْل البَيْضَات والسّيوف، وارْتَبَطَ الخَيْل[5]، كما أشار ابن عَذَارِي إلى بِناء سُور حول المدينة، ضمن أحداث عام (519هـ/ 1125م)[6].

مع هذا الطّابع الجِهاديّ الذي اتّسم به العَصْر المُرابطي في الأنْدَلُس، إلا أنه لَمْ يَحُل دُون الاهتمام بالعُمْران الدّينيّ، وعلى قائمته بناء المساجد، أو إعادة تَجْديدها وتَوْسِعتها، إذ أفاد ابن الأَبَّار، ضمن ترجمته للقاضي عبد الله بن سَعِيد الوَجْدِيّ، أنه على يَدَيْه وتَحْت نَظَره تمّ بِنَاء مِحراب المسجد الجامع من حاضرة بَلَنْسِيَة، عام (498هـ/ 1104م)، وكان اسْمه منقوشًا ضمن النَّقش التَّسجيليّ لأعمال تلك التجديدات[7]. كذلك أفادت كُتُب النَّوازل بإشارة بالغة الأهمية، حول تَوْسعة جامع حاضرة مُرْسِيَة مِنْ قِبَل الأمير علي بن يُوسُف، الذي وَجّه سؤالًا لقاضي الجماعة بقُرْطُبَة، يَسْتَفْتيه

---

[2]- للمزيد عن هذه الأحداث بشئ من التفصيل، انظر: ابن بلقين، عبد الله. مذكرات الأمير عبد الله. دار المعارف بمصر، د.ت، ص101- 107.، ابن بسام، أبي الحسن علي. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1417هـ/ 1997م، القسم الثاني، مج1، ص241- 257.، ابن أبي زرع، علي. الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس. المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1420هـ/ 1990م، ص181- 188.، مجهول، مؤلف. الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية. دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1399هـ/ 1979م، ص33- 66.، ابن الخطيب، أبي عبد الله محمد بن عبد الله. الإحاطة في أخبار غرناطة. مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1393هـ/ 1973م، جـ4، ص350- 352.، عنان. دولة الإسلام. جـ3، ص314- 328.

[3]- حول هذه الأحداث بشئ من التفصيل، انظر: ابن بلقين. مذكرات. ص106- 174.، ابن أبي زرع. الأنيس المطرب. ص193- 197.، مجهول. الحلل الموشية. ص66- 73.، ابن الخطيب. الإحاطة. جـ4، ص352- 353.، عنان. دولة الإسلام. جـ3، ص333- 372.

[4]- انظر: ابن عذاري. البيان المغرب. جـ3، ص34- 37، 40- 41، 43- 59، 60- 61.، ابن أبي زرع. الأنيس المطرب. ص201- 208.، ابن الخطيب. الإحاطة. جـ1، ص448.، مجهول. الحلل الموشية. ص77- 80، 85- 86.

ابن عذاري. البيان المغرب. جـ3، ص60- 61.،

[5]- ابن الخطيب. الإحاطة. جـ1، ص449- 450.

[6]- انظر: ابن عذاري. البيان المغرب. جـ3، ص60.

[7]- ابن الأبار، أبي عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي. التكملة لكتاب الصلة. دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2011م، مج3، ص111.، وتلك التجديدات كان مُقْتضاها ما تَعرّض له الجامع من إحْراق وتَخْريب على يدي النصارى قَبْل خروجهم من المدينة، بَعد غَلَبَة المُرابطين عليهم واستسلامهم لهم. انظر: ابن بسام. الذخيرة. القسم الثالث، مج1، ص101.، ابن عذاري. البيان المغرب. جـ3، ص34.

عن بعض الأمور الفِقْهية المُتَعلّقة بأعمال تلك التوْسعة وكيفيتها[8]، كما ذَكَرَ ابن الخَطِيب، في سياق حديثه عن أعمال الأمير تَاشُفِين بن علي بحاضرة غَرْنَاطَة، أنه أقام المساجد في الثُّغور، وبَنَى لنفسه مسجدًا بالقَصْر[9].

مِن جانب آخر، ورغم تَعَدد دُوِيْلات حُكّام الطوائف بالأنْدَلُس، إلا أن حاضرة قُرْطُبَة احْتَفَظَت بمَكَانتها الحضاريّة الكُبرى إبَّان ذلك العَصْر، كَوْنها حاضرة عَصْرَي الإمارة والخِلافَة الأُمَويّة (138- 422هـ/ 755- 1030م)، ومنها انْتقلت مَظاهر العمارة وفنونها- لأسباب عِدّة يأتي على رأسها هِجرة الفنّانِين القُرْطُبِيّين- إلى باقي المُدُن والحواضر[10]، وهكذا ظَلّت قُرْطُبَة بَعْد الهَيْمَنَة المُرابطية على بلاد الأندلس، إذ أفادت المَصادر التاريخية أن الأمير يُوسُف بن تَاشُفين اهْتمّ كثيرًا بعُمران وعمارة مدينة فَاس من عُدْوة المَغْرب الأقصى، حتى أَقْدَمَ من قُرْطُبَة جُملة من صُنّاع الأَرْحَى فبَنَوا منها كثيرًا[11]، كما أن النُّقوش التّسجيلية لمِنْبَر جامع الكُتُبِيَّة، يُستفاد منها أن هذا المِنْبَر صُنِع بمدينة قُرْطُبَة، لجامع الأمير علي بن يُوسُف في حاضرة مُرّاكُش[12]، فضلًا عن هذا، فإن واجهة وقبَّة مِحراب الجامع الأعظم في حاضرة تِلِمْسَان بالمغرب الأوْسط (530هـ/ 1135م)، خَيْر مثال يَعْكِس التّأثر الشّديد بواجهة وقبَّة مِحراب جامع قُرْطُبَة[13]، وكذلك، في إحدى قباب البلاط المِحْوَري من مُقَدِّم (بَيْت الصلاة/ ظُلّة القِبْلَة) جامع القُرَوِيّين في مدينة فاس، ضمن التوسعة المُرابطية به (531هـ/ 1136م)، نَجِدُ نقشًا تسجيليًا يَحْمِل اسم: (سَلَمَة بِن مُفَرّج)[14]، وهذا اللقب (ابن مُفَرّج)، كان من الألقاب المَشْهورة ببلاد الأنْدَلُس، وفي حاضرة قُرْطُبَة بصفة خاصّة، منذ عَصْر الإمارة حتى العصر المُرابطي[15]، الأمر الذي يدفع إلى الاعتقاد أن بَانِي تلك القُبّة بجامع القُرَوِيّين كان أنْدَلُسيًا، وربما قُرْطُبِيًا على وجه التحديد[16].

تلك المُعطيات المَصْدريّة، والشواهد المادية الباقية بعُدْوَة المَغْرب، تَحْمل على الاعتقاد الكبير باستمرار تلك المظاهر المِعمارية والفنّية، وثِيقة الصِّلة بالمَورُوث الخِلافِيّ القُرْطُبِيّ، خلال ذلك العصر المُرابطي بحواضر

---

[8]- ابن رشد، أبي الوليد محمد بن أحمد. فتاوى ابن رشد. دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1407هـ/ 1987م، جـ2، ص1077- 1079.

[9]- ابن الخطيب. الإحاطة. جـ1، ص450.

[10]- انظر للأهمية: مالدونادو، باسيليو بابون. الفن الطليطلي الإسلامي والمدجن. ترجمة: علي إبراهيم منوفي، منشورات المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2003م، ص147- 148.، مالدونادو، باسيليو بابون. العمارة الإسلامية في الأندلس: عمارة القصور. ترجمة: علي إبراهيم المنوفي، منشورات المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2010م، مج1، ص265- 266، 271- 275، 280- 287، 300- 309، 312- 316، 321- 323، 325- 328، 338- 340، 342- 346، 354- 356، 357- 366.

[11]- الجزنائي، علي. جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس. المطبعة الملكية، الرباط، 1387هـ/ 1967م، ص42.

[12]- انظر:

Bloom, Jonathan .M, et Autres. Le Minbar de la Mosquée Kutubiyya. Ministère des Affaires Culturelles, Maroc, 1998, P. 104.

[13]- انظر: سالم، السيد عبد العزيز. قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس. دار النهضة العربية، بيروت، جـ2، 1972م، ص59- 60.، بالباس، ليوبولدو توريس. الفن المرابطي والموحدي. ترجمة: د. سيد غازي، دار المعارف بمصر، 1971م، ص45- 46.، مالدونادو. الفن الطليطلي. ص150- 151.

[14]- Terrasse, Henri. La Mosqée Al-Qaraouiyin à Fès. Paris, 1968, P.78.

[15]- انظر: ابن الفرضي، أبي الوليد عبد الله بن محمد. تاريخ علماء الأندلس. دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 1429هـ/ 2008م، جـ1، ص78، 142، 314.، جـ2، ص66، 78، 110، 122، 179، 206.، ابن سهل، أبي الأصبغ عيسى. الإعلام بنوازل الأحكام. الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1415هـ/ 1995م، جـ1، ص179، 458، 459، 558، 595، جـ2، ص761.، ابن بشكوال، أبي القاسم خلف بن عبد الملك. الصلة. الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2008م، جـ1، ص14، 21، 38، 42، 58، 67، 89، 93، 128، 129، 136، 169، 198.، جـ2، ص397، 424، 566، 618- 620.

[16]- إذا ما وضعنا في الحسبان أن الخصائص الفنية التي تَميّزت بها تلك القبة، وغيرها من قباب وزخارف الجامع، وثيقة الصِّلة بالفن الأندلسي بصفة عامة، والفن القُرْطُبِيّ الخِلافيّ تخصيصًا. انظر:

Terrasse. La Mosqée Al-Qaraouiyin. P.25, 27, 37, 38, 39, 40, 41, 42, 44, 46.

الأنْدَلُس، غير أن الدلائل الأثَرِيّة تكاد تَكُون مُنْعدمة[17]، ومِنْ ثَمّ تتأتّى أهمية دراسة هذا المسجد الجامع بحاضرة غَرْنَاطَة، لتأكيد القول باستمرار "الطِّراز المِعْمَاري القُرْطُبِيّ"، في العمارة الأنْدَلُسيّة خلال العَصْر المُرابطي، وهو ما سيتم توضيحه بشئ من التفصيل خلال مَباحث هذه الدراسة.

تاريخ الإنشاء.

كانت غَرْنَاطَة خلال عَصْرَي الإمارة والخِلافَة (138- 403هـ/ 755- 1012م)، حِصْنًا، أو بَلْدَة صُغْرى، ضمن أعمال كَوْرَة إلْبِيرَة[18]، وفي أَعْقاب انقضاء الدَّوْلة العَامِرِيّة (366- 399هـ/ 976- 1008م)، واضْطرام نِيرَان الفتنة البَرْبَرِية المَشْئُومة في حاضرة قُرْطُبَة، فيما بين عامي (400- 403هـ/ 1009- 1012م)[19]، تَفَرّق البَرْبَر في بلاد الأنْدَلُس، وثَار كل قائدٍ بمدينته، فاتخذ بنو زِيري الصِّنْهاجِيُّون مِن غَرْنَاطَة حِصنًا ومستقرًا لهم بَعدما أَخْرَبوا إلْبِيرَة، وكان أَوَّل مَن نَزَلَها منهم زَاوِي بن زِيري، حتى شَرَع منذ عام (404هـ/ 1013م) في إعْمارها وتَمْصيرها[20]، وزادها تَشْييدًا ومَنَعَة[21]، غير أنه لَمْ تَطُل مُدَّته بها، إذ رَحَل قافلًا إلى بلاد إفريقيّة، عام (411هـ/ 1020م)، فوَلِيَ الأمر بَعده، ابن أخيه حَبُّوس بن مَاكْسَن (411- 428هـ/ 1020- 1036م)[22].

مِن خلال اسْتِقْراء الإفادات التاريخية، يُمكن القول أنه كان ثَمّ مَسْجدان جامعان بمدينة غَرْنَاطَة في عهْد كلٍ منهما، الأول هو مسجد القَصَبَة القديمة[23]، ويُمكن نِسْبَته إلى عهْد الأمير زَاوِي بن زِيري (404- 411هـ/ 1013- 1020م)، ضمن مراحل تَمْصِير غَرْنَاطَة وتَشييد قَصَبَتها[24]، أما الثاني، فهو مسجد المدينة الجامع[25] مَحَل الدراسة، ويَغْلب على الظن نِسْبَة تأسيسه إلى عهد الأمير حَبُّوس بن مَاكْسَن (411- 428هـ/ 1020- 1036م)[26]، الذي اتسع

---

[17]- مالدونادو. عمارة القصور. مج2، ص8.

[18]- انظر: ابن حيان، حيان بن خلف. المقتبس في تاريخ الأندلس. تحقيق: د. إسماعيل العربي، دار الآفاق الجديدة، المغرب، ط1، 1411هـ/ 1990م، ص78، 79، 80، 81، 82، 83، 84، 85، 89، 129.، ابن عذاري. البيان المغرب. جـ1، ص.، ابن الخطيب. الإحاطة. جـ3، 348، 349.، جـ4، ص271، 272، 340.

[19]- انظر عنها: ابن عذاري. البيان المغرب. جـ2، ص351- 392.، ابن الخطيب. الإحاطة. جـ1، ص513- 514.، المقري، أحمد بن محمد. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. دار صادر، بيروت، 1388هـ/ 1968م، جـ1، ص427- 429.

[20]- ابن بلقين. مذكرات. ص18- 22.

[21]- ابن الخطيب. الإحاطة. جـ1، ص514.

[22]- ابن بلقين. مذكرات. ص24- 25.، ابن الخطيب. الإحاطة. جـ1، ص477.

[23]- ابن الأبار. التكملة. مج3، ص322.، ابن عبد الملك، أبي عبد الله محمد بن محمد. الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة. دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2012م، جـ3، ص184.

[24]- أشار الحِمْيَرِيّ ضمن حديثه عن غَرْنَاطَة، بما نصّه: (وهي مُحْدَثَة من أيام الثُّوّار بالأندلس، وإنما كانت المدينة المَقْصُودة إلْبِيرَة، فخَلَت وانتقل أهْلها منها إلى إغْرَنَاطَة، ومَدّنها وحَصّن أَسْوَارها، وبَنَى قَصَبَتها حَبُّوس الصِّنْهَاجِيّ، ثم خَلَفَه ابنه بَادِيس بن حَبُّوس، فكَمُلَت في أيامه). كما أفاد المَقْري، بقوله: (وكانت إلْبِيرَة هي المدينة قبل غَرْنَاطَة، فلمّا بَنَى الصِّنْهاجِيّ مدينة غَرْنَاطَة وقَصَبَتها وأسْوَارها انتقل الناس إليها، ثم زاد في عمارتها ابنه بَادِيس بَعده). غير أن ما وَرَدَ في مُذَكّرات الأمير عبد الله بن بُلُقِين، يُؤكد أن الذي أسس مدينة غَرْنَاطَة وانتقل إليها هو زَاوِي بن زِيري، وليس ابن أخيه حَبُّوس بن مَاكْسَن، الأمر الذي يَحْمل على الاعتقاد أن بِناء مسجد القَصَبَة كان في عهد مؤسسها زَاوِي، إذ هو مُقْتَضى الحال. ابن بلقين. مذكرات. ص21- 22.، الحميري، محمد بن عبد المنعم. الروض المعطار في خبر الأقطار. مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م، ص45.، المقري. نفح الطيب. جـ1، ص150.، وانظر أيضًا: براثاليس، خوان كاستيا، أوثال، أنطونيو أورويلا. بحثا عن غرناطة الأندلسية. ترجمة: د. بسام البزاز، د. صالح السنيدي، شركة تكوين للطباعة والنشر، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1443هـ/ 2021م، ص42- 43، 57.

[25]- انظر: ابن عبد الملك. الذيل والتكملة. جـ4، ص178.، ابن الزبير، أبي جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي. صلة الصلة. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1429هـ/ 2008م، ترجمة (552)، ص237.، ابن الخطيب. الإحاطة. جـ1، ص437.، جـ3، ص463.

[26]- مما يؤكد ذلك، ما أفاد به ابن الزُّبير، ضمن ترجمته لعَلِي بن عبد الرحمن النُّمَيْرِيّ، أنه تُوُفِّي عام (412هـ/ 1021م)، وكان إمام الفريضة بجامع غَرْنَاطَة. ابن الزبير. صلة الصلة. ترجمة رقم (588)، ص253.، كما أشار ابن الخطيب في سياق ترجمته لبَادِيس بن

في عهده عُمران مدينة غَرْنَاطَة[27]، خارج أسوار القَصَبَة[28]، غير أنه في عهد خَلَفِه بَادِيس (428- 465هـ/ 1036- 1072م)، تمّ عمل مِنْبَر للجامع، على يَدَي قَاضِيه بغَرْنَاطَة، الفقيه علي بن تَوْبَة، في شهر ربيع الأول من سنة (447هـ/ 1055م)[29].

مع العَصْر المُرابطي، شَهِد جامع غَرْنَاطَة أشغال تَجديدٍ وتَوْسعةٍ خلال مَرحلتين مُتتاليتين، في عهْد الأمير علي بن يُوسُف بن تَاشُفِين (500- 537هـ/ 1106- 1142م) تحديدًا، تَغَيّرت معهما طَبِيعة عمارة ومِساحة المَسْجد الزِّيريّ، حيث كانت الأُولى تَحت نَظْر الوزير أبي علي بن هُذَيْل[30]، وعنها أفاد ابن الخَطِيب بقوله: (وَخَصّ أَحْبَاس جامع غَرْنَاطَة بنَظَرِه، بفَضْلِ مالٍ كثيرٍ مِنْ غَلّتِه، ونُبِّه باجتماعه ليَزِيد به بَلاطَيْن في مُسَقَّفِه [المُقَدِّم/ ظُلَّة القِبْلَة] مِنْ شَرْقِه وغَرْبِه، فأَكْمَل الله ذلك بسَعْيِه وعلى يَدَيْه)[31]. أما الثانية، فقد تَمّت تَحت نَظْر الوزير عبد الرحمن بن مالك المَعَافِريّ، وأشار إليها ابن الزُّبَيْر (ت 708هـ/ 1308م)، بقوله: (وهو الذي بَنَى الحَمَّام بجامع غَرْنَاطَة من أَحْبَاس الجامع، حين وَلِيَ إشْرَافها وجميع أعْمَالها،...، وشَرَعَ في الزِّيادة في سَقْف الجامع مِن صَحْنه سنة سِت عَشرة، وعَوّض كُلّ أَرْجُل قِسِيِّه بأعمدة الرّخام، وجَلَبَ الرُّءوس والمَوائد من قُرْطُبَة، فَرَشَ صَحنه بكَذَان الصُّخَيْرة، وأَزال حِيطان المَقْصُورَة ليُعِيدها بالخَشب المَنْقُوش المُخَرَّم، فقَطَعَه عن ذلك أَجَله[32]، وفي سَنَة سَبع عَشرة كَمُلَت الزِّيادة في الجامع من جِهة الصّحن وجِهة الشّرْق)[33].

في ضوء تلك المُعْطيات المَصدريّة، يتضح أن تأسيس المسجد الجامع في مدينة غَرْنَاطَة، يَعُود ابتداءً إلى عَصْر مُلوك الطوائف، وفي عَهْد حَبُّوس بن مَاكْسَن الصَّنْهاجيّ تحديدًا (411- 428هـ/ 1020- 1036م)[34]، ومع تَزايد

حَبُّوس، أنه ضمن حِصاره لبعض الثُّوّار بمدينة غَرْنَاطَة، دَبَّر أن يَفْجَأهم يوم الجُمُعة، عند اجتماعهم بمسجدهم الجامع الأقرب، الأمر الذي يفيد أنه كان ثم مسجدًا جامعًا للمدينة. ابن الخطيب. الإحاطة. جـ1، ص437.،

[27]- عَبّر عن هذا ابن الخطيب، ضمن ترجمته له بقوله: (فانحازوا إلى مَدينة غَرْنَاطَة، وأقام بها حَبُّوس مُلْكًا عظيمًا). ابن الخطيب. الإحاطة. جـ1، ص477.

[28]- انظر: براثاليس، أوثال. بحثا عن غرناطة. ص57- 59.

[29]- ابن الزبير. صلة الصلة. ترجمة رقم (591)، ص254.، ابن الخطيب. الإحاطة. جـ4، ص82. غير أن بعض الباحثين ارتأى أن ذلك المِنْبر كان لجامع القَصَبَة القديمة، وليس جامع المدينة. السنيدي، صالح محمد. المنشآت الدينية والعلمية في غرناطة الإسلامية ومصيرها بعد السقوط. شركة تكوين للطباعة والنشر، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1443هـ/ 2021م، ص100- 104.

[30]- في النُّسَخ المَطبوعة بتحقيق المرحوم الدكتور محمد عنان، وغيره، بلفظ: (أبي علي بن هدية). والغالب على الظن أنه تصحيف، وصوابها (هُذَيْل)، وهو ما وَرَدَ عند ابن عَذَاري، ضمن حديثه عن بناء أسوار الأندلس، بقوله: (وصاحب المُسْتَخْلَص أبي علي بن هُذَيْل). هذا وقد تساءل بعض الباحثين: أيهما أصوب؟ إذ لم نَقِف على تَرْجمة هذا الوزير، ولم نَقِف- حسب كلامه- على أسرة أندلسية تَحْمل هذا اللقب، بيد أن الذي يُمكن ترجيحه، هو تلك التَّسمِية الواردة عند ابن عَذَاري، إذ نجد هذا اللقب في تاريخ ابن الفَرَضِي، ضمن تراجمه، بقوله: (مُطَرِّف بن هُذَيْل، من أهل بَجَّانَة). ابن الفرضي. تاريخ علماء الأندلس. جـ2، ص172.، ابن الصيرفي، أبي بكر يحيى بن محمد. الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية. دار النابغة، طنطا، جمهورية مصر العربية، ط1، 1439هـ/ 2018م، ص155، ح(1)، ابن عذاري. البيان المغرب. جـ3، ص60.، ابن الخطيب. الإحاطة. (ت عنان)، جـ1، ص429، ابن الخطيب. أبي عبد الله محمد. الإحاطة في أخبار غرناطة. شرح وضبط: يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/ 2002م، جـ1، ص236.

[31]- ابن الخطيب. الإحاطة. جـ1، ص429.

[32]- تُوفِّي الوزير ابن مالك المَعَافِريّ عام (518هـ/ 1124م). ابن الزبير. صلة الصلة. ترجمة رقم (294)، ص129.

[33]- ابن الزبير. صلة الصلة. ص129.

[34]- اختلفت آراء الباحثين حول تاريخ بناء مسجد المدينة الجامع في غَرْنَاطَة، غير أنها لم تَخْرُج عن نِسْبَته إما لعهد زَاوي بن زِيري، أو ابن أخيه حَبُّوس بن مَاكْسَن، أو عهد خَلَفِه بَاديس. انظر: السنيدي. المنشآت الدينية والعلمية. ص99- 104.،

Balbás, Leopoldo Torres. La mezquita mayor de Granada. AL-ANDALUS, Vol. X, 1945, P.411, 428-430., Puertas, Antonio Fernández. La mezquita aljama de Granada. MEAH, SECCIÓN ÁRABE-ISLAM 53, 2004, P.40., Sarr, Bilal. Un Analisis de la Granada ziri a traves de las Fuentes escritas y Arqueologicas. Studia Historica, Historia Medieval, Universidad de Salamanca, Salamanca, España, vol.

عُمران المدينة ونُمُوها الحَضَريّ، فضلًا عن أهميتها السياسية خلال العصر المُرابطي[35]، كانت الحَاجَة داعِيَة إلى تجديد وتوسعة مسجدها الجامع، بحيث تَمّت خلال مرحلتين متتابعتين، ليس بالإمكان- في ظل إغْفال المصادر التاريخية وغياب الشواهد المادية- معرفة تاريخ الأُولى منهما على وجه الدِّقّة، أما الثانية، فكانت فيما بين عامي (516- 517هـ/ 1122- 1123م) تحديدًا، ومعهما تَغَيّرت مَاهِيَة عِمارة ومساحة الجامع، التي ظَلّ عليها خلال العَصْرين المُوَحِّدِيّ (540- 646هـ/ 1145- 1248م)، والنَّصْرِيّ (635- 897هـ/ 1237- 1492م) اللاحقين، غير أن هذا لم يَحُل دُون بعض التجديدات والإضافات خلال عصر بَنِي نَصْر تحديدًا، التي لم تُغَيّر- في الوقت ذاته- من جَوْهر عمارة وتخطيط المسجد المُرابطي، حسبما يتم ذِكْره تفصيلًا.

الموقع.

لم يَكُن مَوْقع المسجد الجامع يَتَوسط المدينة، بل كان في الناحية الشمالية منها، خريطة (1)، داخل أَسْوَارها بالقُرْب من باب الرَّمْلَة[36] أحد أبوابها[37]، لوحة (1)، غير أنه كان يَقع في أكثر الأحياء أهمية ونشاطًا، حيث القَيْسَارِيَّة[38]، والسُّوق المَرْكزي بالمدينة[39]، وتلك القَيْسَارِيّة كانت إزاء جدار قِبْلَة الجامع[40].

مَواد البِنَاء.

تَعددت مَواد البِنَاء بالمسجد الجامع في غَرْنَاطَة، حيث كانت الجدران- وِفقًا لُلويس دي لا كُوبا (Luis de la Cueva)- من الطّابِيَة، التي لا تتخللها مَدَامِيك (صُفوف) الآجُر[41]، أمّا مُقَدِّم الجامع مع الأرْوِقة حول الصحن، فقد كانت عُقُودها مَحْمُولة على أعمدة- ذات قواعد وتيجان- جميعها من الرّخام، المَجْلُوب من قُرْطُبَة، حسبما أفادت به الإشارات المصدرية[42]، غير أن الصّحْن كان مَفْروشًا بحَجَرِ الكَذَان المَجْلُوب من الصُّخَيْرَة[43]، كما أَسْفَرَت أعمال التّنقيب- التي قام بها تُوريس بالباس (Torres Balbás)- عن أساسات صَوْمعة الجامع، وتَبَيّن من خلالها أنها كانت مَبْنِيّة من الحِجَارة، وكذلك أساساتها من الحَجَر الجِيرِيّ شديدة الصلابة[44]، فضلًا عن هذا، فقد كان كلٌ من الجُبّ والبِئْر- المُلحقان بالجامع- كلاهما مِنَ الآجُر[45]، أما الأسْقُف، فكانت- كما هو الشائع- من الخشب، وأخيرًا، فإن

27, 2009, P.141., González, Miguel Sobrino. Catedrales, Las Biografias desconocidas de los grandes Templos de Espana. La Esfera de los Libros, Madrid, 2009, P.211, 229.

[35]- انظر: ابن الخطيب. الإحاطة. جـ1، ص97، 446، 449- 450.

[36]- انظر: براثاليس، أوثال. بحثا عن غرناطة. ص257- 258.

[37]- أفاد العُمَريّ أن لمدينة غَرْنَاطَة ثلاثة عشر بابًا، منها باب الرَّملة. العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. إصدار المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 1423هـ/ 2002م، جـ4، ص230.

[38]- عن قَيْسَارِيّة مدينة غَرْنَاطَة، انظر: براثاليس، أوثال. بحثا عن غرناطة. ص252- 257.

[39]- انظر: مجهول، مؤلف. نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1423هـ/ 2002م، ص5.، براثاليس، أوثال. بحثا عن غرناطة. ص252، 258.،

González. Catedrales. P.211., Moreno, Manuel Espinar. Noticias para la Arqueología e Historia de Granada: Plano de la Mezquita Mayor de Granada de 1507 en poder de Cisneros. AL-QANTARA, XL1, enero-junio 2019, P.254- 255.

[40]- براثاليس، أوثال. بحثا عن غرناطة. ص253.

[41]- Puertas. La mezquita aljama. P.53, 60.

انظر أيضًا: براثاليس، أوثال. بحثا عن غرناطة. ص251.

[42]- ابن الزبير. صلة الصلة. ص129.، ابن الخطيب. الإحاطة. جـ3، 524.

[43]- ابن الزبير. صلة الصلة. ص129.، ابن الخطيب. الإحاطة. جـ3، 524.

[44]- Balbás. La mezquita mayor. P.425.

[45]- Balbás. La mezquita mayor. P.426- 428., Puertas. La mezquita aljama. P.63.

أعمال الزخرفة حول المداخل الرئيسة ومِحراب الجامع- إلى جانب بعض الأعمال الفنية الأخرى- كانت من الجِصّ، حسبما يأتي توضيحه.

الوصف الخارجي للجامع.

وهو يشمل الحديث عن واجهات الجامع ومداخله الرئيسة.

الواجهات الرئيسة.

كان للمسجد الجامع بمدينة غَرْنَاطَة أربع واجهات رَئِيسة حُرّة، لا تَتصل بها أي بناءات، وهذا ما يُستفاد صَراحة من إشارة العُمَرِيّ (ت 749هـ/ 1349م)، ضمن حديثه عن هذا الجامع، بقوله: (وجامع غَرْنَاطَة مُحْكَم البِنَاء، بَدِيع جِدّا، لا يُلاصِقه بِنَاء، تَحُفّ به دَكَاكِين الشُّهُود والعَطّارِين)[46]. ليس هذا وحسْب، بل يُستفاد من بعض الإشارات المصدرية الأخرى، أنه كان للجامع رِحاب (ساحات)، تتقدم تلك الواجهات الرّئيسة[47]، حيث أفاد صاحب "نُبْذة العَصْر"، في سياق حديثه عن سَيْلٍ مُدَمّرٍ اجْتَاح مدينة غَرْنَاطَة، عام (883هـ/ 1478م)، أنه غَمَر داخل المدينة فدخل: (القَيْسَارِيّة حتى دَخَل بعض حَوانيتها، ووصَل إلى رَحْبة الجامع الأعظم)[48].

من الناحية المعمارية، واعتمادًا على المُعطيات المُهِمّة التي أفاد بها الرّحالة الألماني "خِيرُونِيمُو مُونْزر"، الذي زَارَ مدينة غَرْنَاطَة ومسجدها الجامع بَعد عامين فقط من تاريخ تَسْلِيمها (897هـ/ 1492م)، يُمكن تحديد أبْعاد الواجهات الرّئيسة للجامع، حيث أشار إلى أن طول الجامع- من الداخل- مائة وثلاث عَشْرة خُطْوة، وعرْضه سِتٍ وسبعون خُطْوة[49]، وبالتالي يتضح أن تخطيط الجامع كان مستطيل المَسْقط، في الاتجاه الطولي حسبما يأتي توضيحه، وبتقدير أن الخُطْوة حوالي (00,75م)[50]، يَكُون امتداد كلٍ من الواجهتين الشرقية والغربية مِنْ داخل الجامع حوالي 84,75م، وامتداد كِلْتا الواجهتين الجنوبية والشمالية حوالي 57,00م، وبِحِسَاب سَمَاكة حائط كل واجهة من واجهات الجامع الأربع بحوالي 1,50م على أقصى تقدير، يُكون امتداد الواجهتين الشرقية والغربية من الخارج حوالي 87,75م، وامتداد الواجهتين الجنوبية والشمالية حوالي 60,00م، وليس بالإمكان- مع غياب الإفادات التاريخية والشواهد المادية- مَعْرفة كم كان ارتفاع تلك الواجهات من سطح الأرض؟ وكذلك ما إذا كانت تتخللها على طول امتدادها فتحات نوافذ (شَمْسِيات) للإضاءة أم لا؟ وإن كان الغالب على الظن أن تلك النوافذ- المُغْشّاة بالتّشْبيكات الهندسية الجِصّية، المُعَشّقة بالزّجاج المُلَوّن- كانت تعلو جدار القِبْلة والمِحراب تحديدًا، لتوفير مَزِيد من الضوْء- إلى جانب الصّحن- داخل ظُلّة القِبْلَة (المُقَدّم)، حسبما نجده بجدار قِبْلَة جامع القُرَوِيّين من حاضرة فاس[51]، ضمن أعمال توسعته في عهْد الأمير علي بن يُوسُف بن تَاشُفين (531هـ/ 1136م).

المداخل الرئيسة.

ليس ثمّ أيّة إفادات تاريخية- في حدود ما أَمْكَن البَحْث- يُمكن من خلالها مَعرفة: كم كان عدد المداخل الرئيسة بالجامع الأعظم من حاضرة غَرْنَاطَة؟ وكيف كانت مَاهِيَة تلك المداخل من الناحيتين المِعمارية والفنيّة؟ غير أنه من حُسن الحظ، هناك بعض المُخططات التي وُضِعَت مِنْ قِبَل السّلُطات الإسبانية، ضمن مَراحل تَحْويل الجامع إلى كَنِيسة ثُمّ إلى كاتدرائية، إلى جانب بعض اللوحات المُهِمّة، للرّسام الإسباني "مِيغِيل سُوبْرِينو" (Miguel Sobrino)، تعود

---

[46]- العمري. مسالك الأبصار. جـ4، ص230.

[47]- أشار البعض إلى أن الجامع كان لا يزال يحتفظ بتلك الرّحاب التي تتقدمه من جهاته، إلى ما قبل سُقوط مدينة غَرْنَاطَة مباشرة بحوالي سنتين.

Puertas. La mezquita aljama. P.45.

[48]- مجهول. نبذة العصر. ص5.

[49]- مونزر. رحلة. ص85.

[50]- انظر: الجليلي، محمود. المكاييل والأوزان والنقود العربية. دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، طـ1، 2005م، ص55- 56.

[51]- انظر: الجزنائي. جني زهرة الآس. ص68.

إلى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي تحديدًا (13هـ)، تُساعد جميعها على مَعرفة عدد تلك المداخل، ومواضع اتخاذها بالواجهات الرئيسة من الجامع.

عَثر غوميث مورينو (Gómez Moreno)، على مُخطط، مُؤرَّخ بعام 1704م (1116هـ)، من عَمل خُوسي سانشيث (José Sánchez)، سِيباستيان دِياث (Sebastián Díaz)[52]، قام بنَشْره في كتابه "دليل غَرْنَاطَة"[53]، وفيه نجد ثلاث فتحات مداخل بالجدار الغربيّ من مُقَدّم الجامع، يُقابل إحداها فتحة مدخل أخرى بالجدار الشرقيّ منه، شكل (1)، ولعل هذا مما يُقوّي الاعتقاد- حسبما هو شائع في عمارة المساجد تحقيقًا لمبدأ (التقابل/ التناظر) فضلًا عن الحَاجَة- أنه كان ثَمّ مدخلان آخران، يُقابلان كذلك المَدخلين الآخرين بالجدار الغربيّ من مُقَدّم الجامع، وبذلك يُمكن القول أنه كان يَتمّ الدخول إلى ظُلّة القِبْلَة (بَيْت الصلاة) بالمسجد الجامع في مدينة غَرْنَاطَة، عَبْر ستّة مداخل مُتقابلة (مِحْوَرية) بكل من الواجهتين الشرقية والغربية[54]، وهذا ما يتضح بجَلاءٍ في تلك اللوحة التي رَسَمَها مِيغِيل سُوبْرِينو، لجامع غَرْنَاطَة[55]، منتصف القرن التاسع عشر (1850م/ 1276هـ)، حيث يَظْهر بها ثلاثة مداخل رئيسة بالواجهة الغربية تفتح على ظُلّة القِبْلَة، لوحة (2)، في نفس مَوَاقعها- تقريبًا- بالمُخطط المشار إليه، شكل (1)، كما يَتَبيّن من خلالها أنه لم تَكُن هنالك فتحات مداخل أخرى رئيسة بكل من الواجهتين الغربية والشرقية تُفْضِي إلى صَحن الجامع، خلافًا للمُخطط الذي وَضَعَه كلٌ من أنطونيو بويرتاس (Antonio Puertas)، أنطونيو ألماجرو (Antonio Almagro)، حيث يَظْهر بمُخطط كلٍ منهما مَدخلين متقابلين، يُفضيان إلى صحن الجامع، اختلف موقعهما- بالجهتين الشرقية والغربية- في كلا المُخططين، شكل (2، 3)، وإنما كان الأمر قاصرًا على مدخل رئيس بمنتصف الواجهة الشمالية، على مِحْور محراب الجامع، تُجاوره المئذنة من جهته اليمنى[56].

من هذا يَتّضح أن جامع غَرْنَاطَة كان يتم الدخول إليه عَبْر سَبْعة مَداخل رئيسة، بواقع ثلاثة بالواجهة الشرقية، وثلاثة أخرى تقابلها بالواجهة الغربية، تُفْضِي جميعها إلى مُقَدّم الجامع، إضافة إلى مدخل رئيس بمُنتصف الواجهة الشمالية، يُفْضي إلى الصحن، وتلك الظاهرة- أي تَعَدّد المداخل بالمساجد الجامعة- ليست بجديدة، ولا تُعد تطويرًا في عمارة مساجد عصر مُلوك الطوائف أو العصر المُرابطي بالأندلس، خلافًا لما أشار إليه بالباس[57]، بل هي أَصِيلة في عمارة المساجد الجامعة منذ عصري الإمارة والخِلافَة (138- 422هـ/ 755- 1030م)، حسبما تؤكده عمارة جامع قرطبة، شكل (4).

من الناحية المعمارية، يُمكن القول أن تلك المداخل الرئيسة، كان كلٌ منها عبارة عن فتحة- ليس بالإمكان معرفة اتساعها تحديدًا- معقودة بعَقْد نصف دائري مُتجاوز (حُدْوة الفَرَس)، داخل طُرَّة (تَرْبِيعة)، يَلْتَف حولها من الجهات الثلاث إفريز زخرفي من الجِصّ[58]، ووفقًا لـ "لويس دي لا كوبا"، كانت تلك المَداخل مع أَقْوَاسها من الحِجَارة،

---

[52]- Puertas. La mezquita aljama. P.51.

[53]- Moreno, Manuel Gómez. Guía de Granada. Granada, 1892, P.282.

[54]- وهو ما ذهب إليه أيضًا الباحثين الإسبان، انظر:

Moreno. Guía de Granada. P.283., Balbás. La mezquita mayor. P.422- 423., Puertas. La mezquita aljama. P.60., Moreno. Noticias para la Arqueología e Historia. P.257.

[55]- أُقَدّم الشكر والامتنان لسعادة الفاضل الكريم، أ.د: صالح محمد السنيدي، أستاذ التاريخ الأندلسي بقسم التاريخ والحضارة، جامعة الإمام بالرياض (سابقًا)، حيث أَمَدّني بالنّسخة المُصوّرة من تلك اللوحات، المُدْرَجة في الأصل بكتاب "بحثًا عن غَرْنَاطَة الأندلسية"، الذي قام- بالتعاون مع د. بسام البزاز- بترجمته من الإسبانية إلى العربية، وهو أحد المراجع المعتمدة في الدراسة.

[56]- انظر: مالدونادو، باسيليو بابون. عمارة المساجد في الأندلس. ترجمة: د. علي إبراهيم منوفي، منشورات هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، ط1، 1432هـ/ 2011م، ص97.،

Puertas. La mezquita aljama. P.60.

[57]- Balbás. La mezquita mayor. P.431.

[58]- Puertas. La mezquita aljama. P.50.

المَجْلُوبة من المَلّاحة[59]، ومُنفّذة بطريقة آدْيَة وشِنّاوي (Soga y Tizón)[60]، والغالب على الظن أنه كان يعلو كلًا منها مَظَلّة (شُرّافة) خشبية، محمولة على مجموعة من الكَوَابِيل الخشبية، المَنْقوشة بزخارف التَّوْرِيق النباتية[61]، ومُسَقّفة من أعلاها بحِطَّات من القِرْمِيد المُزَجّج، في وضعٍ مائلٍ لناحية الطريق، دفعًا لمياه الأمطار عند هُطولها، وتلك الخصائص لعلها تتضح في لوحة ميغيل سوبرينو لجامع غَرْنَاطَة، لوحة (2)، ولوحته الأخرى لأحد مداخل الجامع المَلَكِيّ بقصور الحَمَراء[62]، لوحة (3).

فيما يتعلق بالنواحي الفنيّة، فقد كانت تلك المَداخل مُزيّنة بالزخارف الجِصيّة المُتنوعة، وعلى وجه الخصوص منها، النقوش الكتابية القرءانية، فضلًا عن بعض العبارات الدينية، المُنفّذة بالخط الكُوفيّ، حيث أشار غوميث مورينو- نقلًا عن غيره- إلى وجود ثلاثة أبواب تجاه الكنيسة المَلَكِيّة- بالجهة الغربية- واثنان بالجهة الأخرى المقابلة، تُزيّنها نُقوش كِتابيّة مُتنوعة، منها ءايات قرءانية، يُقرأ بعضها قوله تعالى: (وَأَنْ أَقِيمُواْ الصَّلاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِيَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ {72} وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ)[63]. وقوله جَلّ جَلاله: (اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ)[64]. فضلًا عن نُقوش قُرءانية أخرى، بالخط الكُوفيّ، كانت تُزيّن أحد الأبواب الأخرى بالإضافة إلى الباب الرئيس للجامع[65]، والظاهر أن زَخْرفة المداخل الرئيسة بجامع غَرْنَاطَة بتلك النُّقوش القُرءانية، كانت تَأَسّيًا بجامع قُرْطُبَة، الذي لا تزال بقايا النُّقوش القُرءانية تُزيّن بعض مَداخله من عصري الإمارة والخِلافَة[66].

الوصف الداخلي للجامع.

يتعلق بالحديث عن مُقَدِّم الجامع، وصحنه مع الأروقة المحيطة به.

المُقَدّم.

أفاد مُونزر ضمن حديثه عن جامع غَرْنَاطَة الأعظم أن عرْضه من الدّاخل سِتٍ وسبعون خُطْوة[67]، أي ما يعادل 57,00م، حسبما سبق ذكره، وهذا هو امتداد جِدَار القِبْلَة، ورغم ذلك، فإن غوميث مورينو أشار إلى أن أبعاد بيت الصلاة (المُقَدّم) كانت حوالي 110 قَدَم× 140 قَدَم[68]، أي ما يعادل 27,00م× 35,00م[69]، أما توريس بالباس، فقد

---

[59]- مَوْضِع بالقُرْب من غَرْنَاطَة. ابن الخطيب. الإحاطة. جـ1، ص85، ح(2)، ص129، ح(1).

[60]- Puertas. La mezquita aljama. P.49- 50.

[61]- لا يزال يَحتفظ مُتحف الحَمْراء في غَرْنَاطَة، بنماذج من الكَوَابيل الخشبية الحاملة لتلك الشُّرّافات، التي كانت تعلو مداخل المساجد خلال العصر المرابطي. انظر أيضًا: مورينو، مانويل جوميث. الفن الإسلامي في إسبانيا. ترجمة: د. السيد عبد العزيز سالم، د. لطفي عبد البديع، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ت، ص312، 315.،

Barreiro, Federico Wulff. Origen y evolución de la carpintería de armar hispano-musulmana. Tesis Doctoral, Universidad Politécnica de Madrid, 2010, P.336- 338.

[62]- يعود تاريخ بناء هذا الجامع إلى عهد السلطان النَّصْريّ محمد الثالث (701- 708هـ/ 1302- 1308م). انظر عنه: ابن الخطيب. الإحاطة. جـ1، ص546- 547.

[63]- قرءان كريم، سورة الأنعام، الآيتان (72، 73).

[64]- قرءان كريم، سورة العنكبوت، الآية (45).

[65]- Moreno. Guía de Granada. P.283., Balbás. La mezquita mayor. P.423., Puertas. La mezquita aljama. P.53, 60., Moreno. Noticias para la Arqueología. P.257.

[66]- انظر:

Amador de los Rios. Inscripciones árabes de Córdoba. Madrid, 1880, P.178- 187.

[67]- مونزر. رحلة. ص85.

[68]- Moreno. Guía de Granada. P.283.

[69]- هذا بتقدير أن القَدَم يساوي في المتوسط 00,25م. الجليلي. المكاييل والأوزان. ص56.

أفاد- وغيره- إلى أن أبعاد بيت الصلاة بالجامع كانت حوالي 36,00م× 45,00م[70]، أو 36,38م× 40,00م، طبقًا لمالدنادو[71]، وتلك الأبعاد المتواضعة لا تتناسب ومساحة المُقَدّم بالمسجد الجامع في حاضرة غَرْنَاطَة، بعدما شَهِد أشغال توسعة خلال مرحلتين متتاليتين- حسبما سبق ذكره- إبَّان العصر المُرابطي، وعليه، فإن الذي يُمكن الاطمئنان إليه، هو تلك المُعطيات التي أَدْلى بها مونزر، إذ كان شاهد عيان على عمارة المسجد- بعد تسليم مدينة غَرْنَاطَة بعامين فقط- وهو لا يزال بحالته المعمارية الكاملة، قبل أن تَناله عمليات الهَدْم التدريجية التي طرأت عليه منذ عام 1501م (906هـ)، لإقامة الكنيسة المَلَكِية، ومِن بَعْدها الكاتدرائية[72].

أما فيما يَتعلق بعدد بائكات مُقَدّم الجامع، فقد أشار مونزر أيضًا أنه كان يشتمل على تِسْع بائكات[73]، مُمتدة في اتجاهٍ عمودي من الجَوْف إلى القِبْلَة[74]، بما يَعْنِي أن المُقَدّم كان يتكون من عَشْر بلاطات من خلال تلك البائكات التِّسع، وهذا ما يؤيده أحد المُخططات المُهِمّة للجامع، وُضِعَ من قِبَل خُوان دي لا بِيغا (Juan de la Vega)، عام 1594م (1002هـ)[75]، ضمن المراحل الأوّليّة لبناء الكاتدرائية[76]، شكل (5)، بالإضافة إلى مُخططٍ آخر أَقْدَم منه، عُثِر عليه- ونَشَرَه مؤخرًا الباحث الإسباني مانويل مورينو (Manuel Moreno)- في مَخطوطة بعنوان: "نُصُب تذكارية ووثائق أخرى عن غَزْو وَهْرَان،...، وأماكن أخرى على الساحل الإفريقي من 1505: 1527"[77]، شكل (6)، حيث أن كلا المُخططان يؤكدان صِحّة مُعطيات مونزر حول عدد بائكات المُقَدّم بجامع غَرْنَاطَة، وأنه كان يتكون من عَشْر بلاطات من خلال تِسْع بائكات.

على الرغم من هذا، فقد اعتمد غوميث مورينو، توريس بالباس- وغيرهما من الباحثين الإسبان- على المُخطط المنسوب إلى كلٍ من خُوسي سانشيث، سِيباسْتِيان دِيَاث، المُؤرَّخ بعام 1704م (1116هـ)، شكل (1)، للقول أن مُقَدِّم الجامع كان يتكون من إحدى عَشْرة بلاطة عن طريق عَشْر بائكات[78]، شكلان (2، 7)، كما أن أنطونيو بويرتاس، يَعتقد أن الرّحالة الألماني مونزر قد ارتكب خطأً أثناء العَدّ، وتدوين ملاحظاته[79]، ورغم أن بالباس وَصَفَ هذا المُخطط الذي نَشَرَه غوميث مورينو في "دليله"- واعتمد هو عليه- بأنه وَثِيقة غَريبة، ليست دقيقة، ولا يُمكن أن تُعطي معلومات صحيحة عن العصرين الإسلامي والمسيحي[80]، إلا أن بويرتاس حاول ترجيح كِفّته على حساب مُخطط خُوان دي لا بيغا، المُؤرَّخ بعام 1594م (1002هـ)، شكل (5)، والأكثر قِدَمًا من مُخطط خوسي وسيباستيان، المُؤرَّخ بعام 1704م (1116هـ)، بيد أنه اعتمادًا على المُخطط الذي عُثِر عليه مؤخرًا، ونَشَرَه مانويل مورينو، شكل (6)، المُؤرَّخ فيما بين عامي 1505- 1527م (910- 933هـ)- أي خلال المرحلة الأولى من تحويل قِسْم من الجامع إلى

---

[70]- Balbás. La mezquita mayor. P.419., Puertas. La mezquita aljama. P.53.

[71]- مالدونادو. عمارة المساجد. جـ4، ص95.

[72]- Moreno. Guía de Granada. P.281., Balbás. La mezquita mayor. P.416.

[73]- مونزر. رحلة. ص86.

[74]- Moreno. Guía de Granada. P.282., Balbás. La mezquita mayor. P.414.

[75]- Puertas. La mezquita aljama. P.52.

[76]- هذا المُخطط محفوظٌ بمعهد دُون خُوان بَلَنْسِية (INSTITUTO VALENCIA DE DON JUAN) وقد أَمَدّتني بـه- مَشكورة- السيدة الفاضلة: أنخيليس سانتوس كوير (Mª Ángeles Santos Quer)، مسئول مجموعات وأمين مكتبة المعهد، وقد سَبق أن نَشَرَه في دراسته حول جامع غَرْنَاطَة، الباحث الإسباني المُسْتَعْرِب: أنطونيو بويرتاس.

Puertas. La mezquita aljama. Lám 8.

[77]- Moreno. Noticias para la Arqueología. P.254.

[78]- مالدونادو. عمارة المساجد. جـ4، ص95.،

Moreno. Guía de Granada. P.282, 283., Balbás,. La mezquita mayor. P.420, 431., Puertas. La mezquita aljama. P.48, 53, 57., Moreno. Noticias para la Arqueología. P.256, 260.

[79]- Puertas. La mezquita aljama. P.56.

[80]- Balbás. La mezquita mayor. P.411.

كنيسة- تتأكد صحة المُعطيات التي أفاد بها مُونزر- كشاهد عيان- حول عدد بائكات وبلاطات المُقَدِّم في جامع غَرْنَاطَة، وأنه كان يتكون من عَشْر بلاطات، من خلال تِسْع بائكات[81]، تَمْتد عُقُودها عموديًا على جدار القِبْلَة، شكل (8)، وهو ما يَعني أن مِحراب الجامع- وبالتّبعية البلاط المِحْوَري- لم يَكُن يتوسط جدار القِبْلَة، حيث كان ثمّ خمس بائكات بالجهة الشرقية، تُقابلها أربع أخرى بالجهة الغربية، على يسار المحراب، شكل (8)، حسبما يَتضح من كلا هذين المُخططين، شكلان (6، 9).

حقيقة، فإن سَبَب هذا التّفاوت في عَدَد البائكات بمُقَدِّم الجامع على يمين ويسار المحراب، هو ما أشار إليه ابن الزّبَير الغَرْنَاطِيّ، ضمن حديثه عن أعمال التوسعة الثانية للجامع تحت نَظَر الوزير ابن مالك المَعَافِريّ، مِن أنه وَقَعَت الزيادة والتوسعة في مُقَدِّم الجامع من ناحيتي الصَّحْن والشَّرق فحسب، وذلك بقوله: (وفي سَنَة سَبع عَشرة كَمُلَت الزّيادة في الجامع من جِهة الصّحن وجِهة الشّرْق)[82]. وهو ما يَعْنَي أنه تَمّ إضافة بَلاط زائد بمُقَدِّم الجامع من جهته الشرقية دون الغربية، بما تَرَتَّب عليه وجود خَمْس بائكات بالجهة الشرقية في مقابل أربعٍ بالجهة الغربية.

بناءً عليه، يُمكن القول أن مُقَدِّم الجامع خلال عصر بَنِي زِيرِي، كان يَتكون من سِت بائكات، بواقع ثلاثٍ على يمين المِحراب وأخرى مِثْلها عن يساره، ومع التوسعة الأولى للجامع خلال العصر المُرابطيّ، تحت نَظَر الوزير أبي علي بن هُدْبَة، تَمّ إضافة بلاطين، بواقع واحدٍ في كلٍ من الجهتين الشرقية والغربية، حسبما وقع التصريح به في رواية ابن الخطيب[83]، وبهذا أصبح مُقَدِّم الجامع يتكون من ثماني بائكات، بواقع أربعٍ بكل جهة، أما في المرحلة الثانية من أعمال التوسعة خلال العصر المُرابطيّ، تَمّ إضافة بائكة زائدة بالجهة الشرقية، دُون نَظِيرٍ لها بالجهة الغربية، فأصبح عَدَد البائكات في الجهة الشرقية خَمسٍ، في مُقابل أربعٍ بالجهة الغربية من مُقَدِّم الجامع، وتلك المُعطيات هي ما تَتَّفق تمامًا مع إفادة مونزر حول عَدَد بائكات مُقَدِّم الجامع، خلافًا لِمَا ذَهَبَ إليه الباحثين الإسبان[84].

أما عن عرْض (اتساع) تلك البلاطات (الأرْوقة) بمُقَدِّم الجامع، فليس ثمّ إفادات صريحة حول هذا الأمر، غير أن بعض الباحثين الإسبان- اعتمادًا على مُخطط خوسي وسيباستيان، شكل (1)- أشاروا إلى أن اتساع البلاط المِحْوَري كان حوالي 6,00م، والبلاطين الطّرَفِيّين حوالي 4,00م، أما الباقية على يمين ويسار البلاط المحوري فحوالي 2,78م[85]، شكلان (2، 7)، إلا أن الذي يُمكن اعتقاده هو عدم صحة تلك المُعطيات المذكورة- وبالتالي عَدم دقّة مُخطط خوسي وسيباستيان- نظرًا للتفاوت الشديد بين اتساع البلاط المِحْوَري (6,00م)، والبلاطات الأخرى على اليمين واليسار منه (2,78م)، إذ لا يُمكن التَّسْلِيم أن اتساع البلاط المِحْوَري كان أَزْيد من ضعف اتساع البلاطات الجانبية، بل إن المَنْطِقِيّ هو تَمَيُّز ذلك البلاط المِحْوَري بالاتساع عن باقي البلاطات الجانبية، ولكن دُون هذا الفارق الكبير فيما بينها جميعًا، جريًا على القاعدة المُتّبعة بالمساجد الجامعة في الأندلس والمغرب، منذ عمارة جامع قُرْطُبة (169- 170هـ/ 785- 786م) وخلال العصور المتتالية[86].

---

[81]- مونزر. رحلة. ص86.

[82]- ابن الزبير. صلة الصلة. ص129.

[83]- ابن الخطيب. الإحاطة. جـ1، ص429.

[84]- انفرد أنطونيو ألماجرو (Antonio Almagro)، من بين الباحثين الإسبان، بأن وَضَع تَخطيط مُقَدِّم الجامع من تِسع بائكات، اعتمادًا على إفادة مونزر، شكل (3).

[85]- Moreno. Guía de Granada. P.283., Balbás. La mezquita mayor. P.421., Puertas. La mezquita aljama. P.57, 60., Moreno. Noticias para la Arqueología. P.256.

[86]- فعلى سبيل المثال نجد- طبقًا لمَا ذَكَره توريس بالباس- أن اتساع البلاط المِحوري في جامع قُرْطُبَة حوالي 6,81م، أما الباقية- فيما عدا الطرفيين- فحوالي 5,81م، بفارق 1,00م فقط بين كلٍ منهما، وعن جامع مدينة الزهراء المَلَكِيّة، أفاد المقري- نقلًا عن ابن الفَرَضِيّ وغيره- أن سِعة بلاطه الأوسط هي ثلاثة عشر ذراعًا، أي حوالي (6,50م)، في حين أن الأربعة الباقية على اليمين واليسار منه فسِعَة كلٍ منها اثنى عشر ذراعًا (6,00م)، وفي المسجد الجامع بأَلْمِرْيَة، كان اتساع البلاط المِحوري به- حسبما أفاد به بالباس- حوالي 5,49م، بينما البلاطات الجانبية حوالي 4,70م، كما أشار الأخَوَان وليم وجورج مارسي أن الجامع الأعظم المُرابطي بحاضرة تِلِمْسَان (530هـ/

إذًا، واعتمادًا على المُعطيات التي أفاد بها- شاهد العيان- مونزر، من كون عرْض الجامع من الداخل سِتٍ وسبعين خُطْوة[87]، أي ما يُعادل حوالي 57,00م، يُمكن افتراض أن اتساع البلاط المِحْوَري كان- كما أشار إليه الباحثون الإسبان اعتمادًا على مُخطط خوسي وسيباستيان- حوالي 6,00م، أما باقي البلاطات التسع الأخرى على اليمين واليسار منه، فيُمكن القول أن اتساع كلٍ منها كان حوالي 5,25م، وبهذا يَصِير اتساع البلاطات العَشْرِ بمُقَدّم الجامع 56,85م، على وجه الدقة[88]، وهو ما يَتّفق بشدّة مع نفس الأبعاد التي أفاد بها مونزر حول عرْض المسجد من الداخل، والمُقَدّرة بحوالي 57,00م، شكل (8).

أيضًا، أفاد مونزر أن البائكات التسع بمُقَدِّم الجامع الأعظم من غَرْنَاطَة، يتكون كلٌ منها من ثلاثة عَشر عمودًا ضخمًا، تحمل أربعة عَشر عَقْدًا[89]، ورغم أنه نَجْهَل نَمَط تلك العُقُود على وجه التحديد، إلا أن الذي يَغْلُب على الظن أنها كانت من نَمَط العُقُود نصف دائريّة المُتجاوِزة (حُدْوة الفَرَس)[90]، إذ كان هو السائد في شتى العمائر الأندلسية، خلال عَصْري الخِلافَة ومُلوك الطوائف (316- 484هـ/ 929- 1091م)، لا سيّما أن العَقْد الحُدْوي المُدبَّب، كان نادر الوجود في عمائر مدينة غَرْنَاطَة خلال العصر المُرابطي، حسبما أفاد مالدونادو[91]، فضلًا عن أن هذا العَقْد نصف دائري المُتجاوز هو الذي يَبدو في لوحة سوبرينو، فيما يتعلق بواجهة المُجَنَّبة الشرقية من صحن الجامع، لوحة (2).

من ناحية أخرى، فقد أفادت المصادر التاريخية بمُعطيات مُهِمّة للغاية، حول تلك الأعمدة الحاملة لعُقُود وسَقْف المُقَدّم بجامع غَرْنَاطَة الأعظم، حيث أشار ابن الزُّبَيْر- حسبما سبق ذكره- في سياق ترجمته للوزير عبد الرحمن بن مالك المَعَافِرِيّ، وعَدّ بعض مآثره العُمرانية بمدينة غَرْنَاطَة، بقوله: (وشَرَعَ في الزيادة في سَقْف الجامع من صَحْنه سنة ست عشرة، وعَوَّض كل أَرْجُل قِسِيّه [عُقوده] بأعمدة الرُّخام، وجَلَبَ الرُّءوس والمَوَائد من قُرْطُبَة)[92]. والظاهر أن القصد هنا من لفظتي: "الرُّءوس والمَوَائد"، هو تيجان الأعمدة وقواعدها[93]، الأمر الذي يُؤكد أن أعمدة مُقَدّم الجامع كانت قائمة على قواعد حاملة لها، وهذا هو مُقتَضَى الحال من الناحية المعمارية الإنشائية، خلافًا لمن أشار أن تلك الأعمدة لم تكن لها قواعد ترتكز عليها[94]، ومن جهة أخرى، فإن تلك التيجان والقواعد جُلِبت مع أعمدتها من خرائب "مدينة الزهراء" تحديدًا، حسبما تؤكده بعض تلك التّيجان الرُّخامية، المؤرَّخة بعام 340هـ (951م)[95]، من عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (300- 350هـ/ 912- 961م)، الذي إليه يُنسب بِنَاء تلك المدينة المَلَكِيّة[96].

1135م)، يَبلغ اتساع البلاط المِحوري ببيت الصلاة فيه 4,60م، بيد أن باقي البلاطات الواقعة على جانبيه فيبلغ اتساعها 3,20م. المقري. نفح الطيب. جـ1، ص564.، بالباس، ليوبولدو توريس. تاريخ إسبانيا الإسلامية. ترجمة: علي عبد الرءوف البمبي وآخرون، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2002م، مج2، جـ2، ص31، 264.، مارسي، وليم، جورج. المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان. ترجمة: مراد بلعيد وآخرون، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1432هـ/ 2011م، ص181.

[87]- مونزر. رحلة. ص85.

[88]- إذا ما وضعنا في الحسبان أن أطوال قواعد الأعمدة- في المتوسط- بكل بائكة من البائكات التسع هو 00,40م× 00,40م.

[89]- مونزر. رحلة. ص86.، وهذا ما أثبته كلٌ من بويرتاس، ألماجرو، شكلان (2، 3)، خلافًا لبالباس، الذي اقتصر في مُخططه- رغم اطلاعه على إفادة مونزر- على اثنتى عشرة فتحة عَقْد، دُون مَدِّها إلى جدار القِبْلَة، شكل (7).

[90]- وهو ما ذهب إليه أيضًا بعض الباحثين.

Puertas. La mezquita aljama. P.60.

[91]- مالدونادو. عمارة المساجد. جـ4، ص97.

[92]- ابن الزبير. صلة الصلة. ص129.، ابن الخطيب. الإحاطة. جـ3، 524.

[93]- أما مالدونادو فأشار إلى أن هذا محمولٌ على التيجان والحدائر (الوسائد) التي تعلوها. مالدونادو. عمارة المساجد. جـ4، ص94.

[94]- Moreno. Guía de Granada. P.283., Puertas. La mezquita aljama. P.57.

[95]- Balbás. La mezquita mayor. P.414.

[96]- عن تلك المدينة، انظر: المقري. نفح الطيب. جـ1، ص563- 569.

هذا، ويعتقد بالباس، أن تلك الأعمدة الرُّخامية التي أُقيمت في بيت الصلاة (المُقَدِّم) خلال التوسعة المُرابطية، إنما حَلّت مَحَل الأعمدة الخشبية التي ترجع إلى تاريخ بناء الجامع خلال العصر الزِّيرِيّ[97]، والواقع أن هذا فيه نَظَر، حيث أن إفادة ابن الزُّبَيْر- المذكورة آنفًا- تؤكد أن سَقْف مُقَدِّم الجامع كان محمولًا على عُقُود، بقوله: (وعَوَّض [المَعَافِرِيّ] كُل أَرْجُل قِسِيِّه [عُقوده] بأعمدة الرُّخام). ولا يُمكن التَّسليم أن تلك العُقود (الأقواس) كانت قائمة على أعمدة خشبية، بل الظاهر أنها كانت محمولة على أَرْجُل (دُعامات) إما من الطّابِيَة[98] أو من الحِجَارة، وهذا هو مُقتضى الحال أيضًا من الناحية الإنشائية، كون الأعمدة الخشبية لا يُمكن أن تحمل عقودًا يَرتفع فوقها سَقْف الجامع.

كذلك، ومن خلال المُعطيات التي دَوّنها مونزر، حول عدد أعمدة وعقود بائكات المُقَدِّم في جامع غَرْنَاطَة، يُمكن القول أن تلك البائكات كانت تحمل عقودًا، تَمْتدّ عموديًا من الصحن باتجاه الجنوب، بحيث تَرْتكز من جهة الصحن على دُعامات، على شكل حرف (T) اللاتيني، في وضع مقلوب[99]، إلى أن تَتّصل مباشرة بجدار القِبْلَة، لترتكز على أعمدة رُخامية مُلْصَقة به[100]، الأشكال (2، 3، 8)، وهذا ما يتأكد في ضوء مُخطط خُوان دي لا بيغا، المؤرخ بعام 1594م (1002هـ)، شكل (9)، والمُخطط المنسوب إلى ديغو دي سيلوي (Diego de Siloé)، الذي كان مَنُوطًا بإعداد مشروع تخطيط وبناء الكاتدرائية مَحَل الجامع، شكل (10)، وتلك السِّمة المعمارية- أي امتداد عقود بائكات المُقَدِّم عموديًا من جهة الصحن حتى تتصل مباشرة بجدار القِبْلَة- تتضح في عمارة المساجد الجامعة الثلاثة، المَنْسوبة إلى العصر المُرابطي بالمغرب الأوسط، وهي كل من مسجد نِدْرُومَة (474هـ/ 1081م)، شكل (11)، مسجد جزائر بَنِي مَزْغَنّة (490هـ/ 1096م)، شكل (12)، الجامع الأعظم بتِلِمْسَان (530هـ/ 1135م)، شكل (13)، حسبما تؤيده كذلك لوحة ميغيل سوبرينو لجامع غَرْنَاطَة، لوحة (2)، ومن جهة أخرى، فلا رَيْب أن هذا الامتداد العمودي لبائكات جامع غَرْنَاطَة على جدار القِبْلَة كان تَأَسِّيًا بجامع قُرْطُبَة، بعد إعادة بنائه خلال عهد الأمير عبد الرحمن بن معاوية، فيما بين عامي (169- 170هـ/ 785- 786م)، وصار من حينها النَّموذج المُحْتَذَى في تلك السِّمة المعمارية بجوامع الأندلس خلال العصور اللاحقة، شكل (4)، بيد أنه يَبْقَى التساؤل: هل كان ثَمّ رِواقٌ (بلاط) مُسْتعْرَضٌ موازٍ لجدار القِبْلَة، يُكَوّن مع البلاط المِحْوَري الشكل المتعامد على هيئة حرف (T) اللاتيني مثلما هو الحال في جامع جزائر بَنِي مَزْغَنَّة؟ شكل (12)، أم كان الأمر قاصرًا على ذلك البلاط المِحْوَري فقط دون البلاط المُستعْرَض المُوازي لجدار القِبْلَة كما هو الأمر في الجامع الأعظم بتِلِمْسَان وكما يَتضح من لوحة ميغيل سوبرينو؟ شكل (13)، لوحة (2).

هذا، وفيما يتعلق بعنصر القُبّة فوق المِحراب، فإن توريس بالباس، يَعتقد أنه لَمْ يَكُ ثَمّ قُبّة تعلو مربع المحراب، كَوْن الرّحالة الذين زاروا جامع غَرْنَاطَة، مثل العُمَرِيّ، عبد الباسط بن خليل بن شاهين، وكذلك مُونزر، لم يُشيروا

97- Balbás. La mezquita mayor. P.432.

98- يُستفاد من بعض الدراسات الآثارية- إلى جانب بعض الإفادات المَصدرية- أن البِناء بالطّابِية كان معروفًا في العمارة الأندلسية منذ عصري الإمارة والخِلافة، كما أفادت أن حاضرة غَرْنَاطَة خلال القرن الحادي عشر (5هـ)، أي في عصر بني زيري (404- 483هـ/ 1013- 1090م)، شَهِدت أسلوب البِناء بالطّابِيَة. انظر: ابن حيان، حيان بن خلف. المقتبس. السفر الخامس، تحقيق: بدرو شالميتا وآخرون، منشورات المعهد الإسباني العربي للثقافة بالتعاون مع كلية الآداب بالرباط، مدريد، 1979م، ص96.، ابن سهل. الإعلام. جـ2، ص795- 796.، بالباس. تاريخ إسبانيا الإسلامية. مج2، جـ2، ص99.، مالدونادو. عمارة القصور. جـ1، ص341.، مالدونادو، باسيليو بابون. العمارة في الأندلس: عمارة المدن والحصون. ترجمة: علي إبراهيم منوفي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2005م، مج1، ص341- 342، مج2، ص332، 336- 337، 344.، مالدونادو، باسيليو بابون. العمارة الأندلسية: عمارة المياه. ترجمة: د. علي إبراهيم منوفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2008م، ص42.

99- وهو ما أشار إليه كذلك البعض.

Puertas. La mezquita aljama. P.56.

100- هذا ما أفاد به كذلك بويرتاس.

Puertas. La mezquita aljama. P.56.

إلى قباب أو أَسْقُف ذات أهمية كبيرة أعلى بيت الصلاة[101]، وهذا ما يتضح كذلك في لوحة ميغيل سوبرينو، لوحة (2)، في حين أن مالدونادو لم يَفْصِل القول في هذا بالنّفْي أو الإثبات[102]، بيد أن القُبّة فوق المحراب- لمَا لها من دلالات دينية سياسية منذ القِدَم بعمارة المساجد المشرقية والمغربية سواءً- كانت من الخصائص المُهِمّة لعمارة مساجد العصر المُرابطي، حسبما لا يزال باقيًا بجامع القُرَوِيّين من حاضرة فاس بالمغرب الأقصى، حيث يَعلو مُربّع مِحراب الجامع قُبّة جِصّية مُقَرْنَصَة بَديعة، مُؤرَّخة بعام 531هـ (1136م)، وكذلك، في الجامع الأعظم من حاضرة تِلِمْسَان بالمغرب الأوسط، إذ يعلو مربع المحراب قُبّة جِصّية رائقة من نَمَطِ القباب القُرْطُبِيّة ذات الضّلوع المُتقاطعة، مُؤرَّخة هي الأخرى بعام 530هـ (1135م)، كما يُستفاد من الإشارات التاريخية، أنه كان هنالك قُبّة كبرى تعلو مربع محراب جامع بَجَّانَة من أعمال مدينة أَلْمِرْيَة[103]، وأخرى تَعْلو مربع محراب المسجد الجامع في مدينة مَالَقَة[104].

اعتمادًا على تلك الشواهد المَادّية والإفادات المَصدرية، يُمكن القول أن مُربع محراب جامع غَرْنَاطَة- ضمن توسعته خلال العصر المُرابطي- كان يعلوه- جريًا على العادة الغالبة بمساجد الأندلس منذ عمارة جامع قُرْطُبَة في عهد الخليفة الحَكَم المُسْتَنْصِر (351- 355هـ/ 962- 966م)[105]- قُبّة جِصَية فاخرة الصَّنْعَة، لا تَخْرُج عن كَوْنِها إما من نَمَطِ القباب المُقَرْنَصَة، كما هو الحال في جامع القُرَوِيّين بفاس، أو من نَمَط القباب ذات الضّلوع المُتقاطعة، مثلما عليه الأمر بالجامع الأعظم في تِلِمْسَان، وليس بالضرورة أن الرّحالة الذين زاروا جامع غَرْنَاطَة، ولم يُشِيروا إلى قباب أو أَسْقُف ذات أهمية أعلى بيت الصلاة، أنه لم تَكُن هناك قِباب بالجامع، حسبما اعتقده بالباس[106]، إذ أن الإفادات التي ذَكَرَها أولئك الرّحالة حول الجامع، كانت شديدة الاقتضاب، كما أنها لم تُشِر من قريب ولا بَعيد إلى كثيرٍ من مُتعلقات، ومُلحقات الجامع وعناصره المعمارية أو الفنية[107]، وعليه، فالغالب على الظن- اعتمادًا على الشواهد الأثرية السابق ذكرها بمساجد العصر المُرابطي في المَغْرِبين الأقصى والأوسط- أنه كان ثَمّ قُبَة جِصّية تعلو مربع محراب جامع غَرْنَاطَة، ولعل إقرار هذا، يَحمل على القول أن بلاط القِبْلة كان بنفس اتساع البلاط المِحْوَري تقريبًا[108]، لِيُشَكّلا عند نقطة التقاطع بينهما مساحة مربعة لإقامة القبة فوق محراب الجامع[109]، شكل (8).

أخيرًا، وفيما يتعلق بأَسْقُف المُقَدّم في المسجد الجامع بغَرْنَاطَة، فما من شك أنها كانت من نَمَط الأسقف الجَمَالُونية، المُنفّذة بأسلوب "الوَرَقَة والجَائِزة"، مثلما كان الحال في جامع قُرْطُبَة[110]، ومُغطاة من الخارج بالقِرْمِيد

---

[101]- Balbás. La mezquita mayor. P.432.

[102]- مالدونادو. عمارة المساجد. جـ4، ص78.

[103]- انظر: العذري، أحمد بن عمر بن أنس. نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك. منشورات معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، د.ت، ص87.

[104]- انظر: النباهي، أبو الحسن بن عبد الله. المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا. دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط5، 1403هـ/ 1983م، ص157.

[105]- انظر: بالباس. تاريخ إسبانيا الإسلامية. مج2، جـ2، ص102.، مالدونادو. عمارة المساجد. جـ4، ص77- 78.

[106]- انظر أيضا: مالدونادو. عمارة المساجد. جـ4، ص95.

[107]- انظر: العمري. مسالك الأبصار. جـ4، ص230.، مونزر. رحلة. ص85- 86، 95- 96.

[108]- هذا ما ذهب إليه البعض. مالدونادو. عمارة المساجد. جـ4، ص95.،

Moreno. Guía de Granada. P.282., Balbás. La mezquita mayor. P.421, 431.

[109]- على الرغم من أن بالباس ارتأى عدم وجود قُبّة فوق مُربّع المحراب، حسبما تمّ ذِكْره أعلاه، غير أنه في المُخطط الذي وَضَعَه لبيت الصلاة، أكد على اتساع بلاط القِبْلَة بنفس اتساع البلاط المِحوريّ، شكل (7)، ولعل هذا يُبَيّن التناقض الذي وَقَع فيه.

[110]- أشار الإدريسي ضمن حديثه عن جامع قُرْطُبَة، بقوله: (وسَقْفه كُلّه سَمَاوات خَشَب مُسَمَّرَة في جَوَائِز سَقْفه،...، وبَيْن الجَائزة والجائزة غِلْظ جَائزة، والسَّمَاوات التي ذكرناها هي كُلها مُسَطَّحة). الإدريسي، أبي عبد الله محمد بن محمد. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422هـ/ 2002م، ص575- 576.، وانظر أيضًا: المقري. نفح الطيب. جـ1، ص228.

المُزَجّج ذي اللون الأخضر[111]، حسبما كان مُتّبعًا في مساجد بلاد الأندلس، خلال العصور الإسلامية المتعاقبة، وهو ما أشار إليه كذلك الباحثين الإسبان، اعتمادًا على بعض اللوحات المحفوظة بمكتبة الأُسْكُوريال[112]، وتُؤيده أيضًا لوحة ميغيل سوبرينو، لوحة (2)، على أن بعض الباحثين أشار- اعتمادًا على وَصْف الآب الفرنسي بيرتو (Bertaut) الذي زار غَرْنَاطَة في عام 1659م (1070هـ)- إلى أن تلك الأَسْقُف كانت عاطلة من الزخرفة[113].

الصحن والأروقة الجانبية.

وِفْق الطّراز التقليدي، الذي كان سائدًا في تخطيط وعمارة المساجد الجامعة ببلاد الأندلس، منذ عمارة جامع قُرْطُبَة (169- 170هـ/ 785- 786م)، وفيه يَتَكون المسجد من قِسْمين رئيسين، هما: المُقَدّم، الصَّحن، فقد كان للمسجد الجامع بغَرْنَاطَة صحنًا مكشوفًا، وهو ما يُستفاد من مُعطيات مونزر، حيث أشار إلى أنه في وَسْط الجامع فِناء به نافورة للوضوء[114]، وهو ما يُفيد- من جهة أخرى- أنه كان يَتوسط صحن الجامع خَصَّة (فَسْقِيّة) رخامية لوُضوء المُصَلّين، شكل (8). أما أرضية الصحن، فقد كانت- حسب إفادة ابن الزُّبَيْر- مَفْروشة خلال العصر المُرابطي بـ "حَجَر الكَذَان"، المَجْلُوب من "الصُّخَيْرة"[115]، التي ربما كانت أحد المَحَاجر القريبة من مدينة غَرْنَاطَة.

هذا، وقد تساءل بعض الباحثين الإسبان، عما إذا كان الصحن مَحُوطًا من جهاته الثلاث الأخرى بأروقة جانبية أم لا؟ حيث تَرَدّد توريس بالباس بفَصْل القول في ذلك بالنفي أو الإثبات، لعدم دِقّة التمثيل- حسب قوله - في لوحة الأُسْكُوريال، التي تُصَوّر أحداث معركة إيغيرويلا (Higueruela)[116]، ومن جانبه، أشار أيضًا مالدونادو إلى أنه لا نَعْرف على وجه اليقين، فيما إذا كانت هناك البوائك الثلاث الكلاسيكية للصحن- في جامع غَرْنَاطَة- التي نجدها في المساجد الجامعة الأُموية القرطبية ابتداء من عصر عبد الرحمن الثاني (206- 234هـ/ 821- 848م)؟[117]، أما بُويرْتاس، فقد ذَهَبَ إلى أن صحن الجامع كان مَحُوطًا بالأروقة من جهاته الثلاث، دُون تعيين لعدد تلك الأروقة بكل جهة من جهاته[118]، شكل (2).

رغم هذا، واعتمادًا على إفادة مونزر، يُمكن التأكيد على أن صحن الجامع كان يَلْتَف حَوْله الأروقة الجانبية من جهاته الثلاث، حيث أشار صراحة ضمن مُعطياته عن طول وعرْض مساحة الجامع أن: (في وَسْطه فِناء)[119]، وهذا التّوسط لا يَكُون إلا إذا كان الصحن (الفِناء) مَحُوطًا من جهاته الأخرى بأروقة جانبية، جعلته يتوسطها مع مُقَدّم الجامع بالجهة الجنوبية منه، وهذا ما يتعيّن تأكيده أيضًا من تلك الإفادة المصدرية، التي أشار إليها ابن الخطيب، في سياق الحديث عن المرحلة الأولى من توسعة الجامع خلال العصر المُرابطي، ومن خلالها يُمكن تحديد عدد الأروقة بكل جهة من الجهات الثلاث حول الصحن.

111- يُستفاد من الإشارات التاريخية أن أسقف مساجد بلاد الأندلس كانت تُغَطّى من الخارج بالقِرْمِيد المُزَجَّج، منذ عمارة جامع قُرْطُبَة. انظر: المقري. نفح الطيب. جـ1، ص550.، ابن سراج، أبي القاسم. فتاوى قاضي الجماعة أبي القاسم بن سراج الأندلسي. دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط2، 1427هـ/ 2006م، ص165.

112- Balbás. La mezquita mayor. P.421., Puertas. La mezquita aljama. P.47, 60., Moreno. Noticias para la Arqueología. P.257.

113- Balbás. La mezquita mayor. P.417.

114- مونزر. رحلة. ص85.

115- ابن الخطيب. الإحاطة. جـ3، ص524.

116- Balbás. La mezquita mayor. P.422.

117- مالدونادو. عمارة المساجد. جـ4، ص95، 97.

118- Puertas. La mezquita aljama. P.60.

119- مونزر. رحلة. ص85.

أفاد ابن الخطيب- كما سبق ذكره- ضمن ترجمته للوزير ابن هُدْبَة، بقوله: (وَخَصّ أحْبَاس جامع غَرْنَاطَة بنَظَرِه، بفَضْلِ مالٍ كثيرٍ مِنْ غَلّتِه، ونُبّه باجتماعه ليَزِيد به بَلاطَيْن في مُسَقَّفِه مِنْ شَرْقِه وغَرْبِه)[120]. من تلك الإفادة يتعيّن القول أنه خلال تلك التّوسعة- الأولى- لمُقَدِّم الجامع، بإضافة بلاط واحدٍ في كلٍ من جهتيه الشرقية والغربية، تم مَدّ هذين البلاطين باتجاه الجَوْف (الشمال) إلى نهاية مساحة المسجد، إذ هو مُقتضى الحال من الناحية المعمارية، الأمر الذي يَعني أن صحن الجامع أصبح مَحُوطًا من كلتا جهتيه الشرقية والغربية برواقٍ، مثلما حَدَث بتمامه ضمن توسعة جامع قُرْطُبَة في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط (218هـ/ 833م)، بعد إضافة بلاط لمُقَدِّم الجامع بكلٍ من جهتيه الشرقية والغربية، الأمر الذي استلْزَم مَدّ هذين البلاطين باتجاه الشمال على جانبي الصحن[121].

لكن يَبْقَى التساؤل: هل كان المسجد الأول الذي يَرْجِع إلى العصر الزّيريّ دُون مُجَنَّبات حول الصحن؟ اعتمادًا على لوحة ميغيل سوبرينو، لوحة (2)، والمُخطط الذي نَشَرَه ميغيل سوبرينو غونثاليث (Miguel González Sobrino)، منسوبًا إلى سيلوي، شكل (10)، يُمكن القول أنه لم يَكُ هنالك مُجَنّبات حول صحن الجامع خلال العصر الزّيريّ، وإنما أُضيفت تلك المُجَنّبات، بواقع رِواق واحد في كل جهة من الجهات الثلاث حَوْل الصحن، ضمن عملية التوسعة الأُولى للجامع خلال العصر المُرابطي، بَعْد إضافة بلاطين اثنين بكلٍ من الجهتين الشرقية والغربية لمُقَدِّم الجامع، الأمر الذي استَلْزَم مَدّهما إلى نهاية حدود الجامع، مع وَصْلهما بأخرى ثالثة في مؤخره بالجهة الشمالية منه، تَمتدّ عُقودها موازية لجدار القِبْلَة، على خلاف امتداد عقود المُجَنّبتين الشرقية والغربية في الاتجاه العمودي، وبهذا اكتمل تخطيط الجامع إبَّان العصر المُرابطي، بحيث أصبح من أربع ظُلّات حول الصحن، كما حافظ- في الوقت ذاته- على النمط القُرْطُبيّ في عمارة المساجد الأندلسية، بعدما أُضيفت الأروقة الثلاثة حول الصحن، بواقع بائكة واحدة فقط في كل جهة، شكل (8)، على غِرار جامعي قُرْطُبَة ومدينة الزّهراء، شكلان (4، 14).

من جانب آخر، واعتمادًا على لوحة ميغيل سوبرينو لجامع غَرْنَاطَة، لوحة (2)، يتضح أن كلًا من واجهتي الرِّواقين بالجهتين الشرقية والغربية من صحن الجامع، كانتا تُطِلّان على الصحن من خلال تِسْع فتحات عُقُود نصف دائرية متجاوزة (حُدْوة الحصان)، تَرْتكز على أعمدة أسطوانية، فيما يَبدو أنها رُخامية، كباقي سَوَارِي مُقَدِّم الجامع، إلا أنه يَتخلل امتداد واجهة الرِّواق، دُعامتان مستطيلتا المَسْقط، تَقْسِم العُقُود التّسعة إلى ثلاث مجموعات مُسْتَقلّة، كلٌ منها من ثلاثة عُقُود، غير مُتّصِلة بالتي تَلِيها، لوحة (2)، وهكذا كان الحال فيما يتعلق بواجهة الرِّواق الشمالي المُطِلّ على الصحن، حسبما يتأكد من المُخطط المنسوب إلى سيلوي، شكل (10)، وتلك السِّمة المعمارية التي تمّ فيها التّناوب بين الدُّعامات والأعمدة الحاملة لعُقُود واجهات البائكات الثلاث حول الصحن، يَبدو أنها لم تَكُن شائعة بعمارة المساجد الجامعة في الأندلس، غير أنها عُرفت بتَمَامها بواجهات البائكات الثلاث حول صحن جامع قُرْطُبَة، بعد تجديده وتوسعته خلال عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (346هـ/ 958م)[122]، شكل (4)، ربما تحت مَوْجة التأثيرات الأُموية المَشْرِقية، حسبما تَعكسه عمارة صحن الجامع الأُمويّ بدِمِشْق[123]، وبهذا يتضح أيضًا قوة تأثير عمارة جامع قُرْطُبَة في عمارة المسجد الجامع بغَرْنَاطَة خلال العصر المُرابطي.

مُلْحَقات الجامع.

وهي عديدة، كالآتي:

120- ابن الخطيب. الإحاطة. جـ1، ص429.

121- ابن حيان، خلف بن حيان. المقتبس. السفر الثاني، منشورات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1424هـ/ 2003م، ص285، 286.

122- بالباس. تاريخ إسبانيا. مج2، جـ2، ص169.، مالدونادو. عمارة المساجد. جـ2، ص72- 73، 78- 79. وإن كان البعض يعتقد أن ذلك كان قبل تجديدات الخليفة عبد الرحمن الناصر. كريزويل، أ. س. الآثار الإسلامية الأولى. ترجمة: عبد الهادي عبلة، دار قتيبة، دمشق، سوريا، 1984م، ص299- 300.

123- انظر: كريزويل. الآثار الإسلامية الأولى. ص113- 114.، بالباس. تاريخ إسبانيا. مج2، جـ2، ص169.

1- الصَّوْمَعة.

أَثَارت صومعة (مئذنة) الجامع الأعظم في غَرْنَاطَة، عديدًا من التساؤلات والافتراضات عند الباحثين الإسبان، الذين قاموا بدراسة هذا الجامع، سواء فيما يخص تاريخ بنائها، أو أبعادها وهيئتها المعمارية، فضلًا عن سِماتها وخصائصها الفنية.

ففيما يتعلق بمادة بِنائها وتخطيطها، فقد كَشَف توريس بالباس، الذي قام بالتَّنقيب عن أساس الصومعة، أنه كان من الحَجَر الجِيري شديد الصلابة[124]، ومن ناحية التخطيط، كانت عبارة عن بُرج مُربّع المَسْقط، مَبنيٍ بالحِجَارة، طول كل ضلع من أضلاعه 4,46م، بارتفاع حوالي 13،40م، للطابق الأول[125]، وربما كان ارتفاعه يصل إلى حوالي 16,00م، حسب افتراض مالدونادو، إضافة إلى الطابق الثاني، الذي ربما كان يصل ارتفاعه إلى حوالي 4,00م[126]، كما يُضيف بالباس، أن سُمْك جدران الصّوْمعة كان حوالي 00,70م، مع وجود نَوَاة مَركزية بداخلها، مُربّعة المَسْقط كذلك، يَلْتف حَوْلها الدَّرَج الصاعد[127]، وبهذا يتضح أن تخطيط وبِناء صومعة جامع غَرْنَاطَة كان على غِرار صوامع مساجد الأندلس خلال عصري الإمارة والخِلافَة، من حيث كونها مُربّعة المَسْقط، يتوسطها نواة مركزية مُربّعة- أو دائرية- المَسْقط أيضًا، يرتفع حولها الدَّرَج الصاعد[128].

أما من حيث هيئتها المعمارية، فقد وقع اضطراب بين الباحثين الإسبان في ذلك، نظرًا للاختلاف الشديد بين لوحة مَعْركة "إيغيرويلا" (Higueruela)[129]، التي تمّ نَسْخها في عهد المَلِك فيليب الثاني (Felipe II)، على يدي نِيكولاس غرانيّو (Nicolás Granello)، فيما بين عامي 1575م (983هـ)، 1579م (987هـ)[130]، وبين لوحة هِيلان (Heylan)، التي رسمها لصومعة الجامع- اعتمادًا على رَسْمٍ سابقٍ لها من عام 1588م (994هـ)- المؤرخة بعام 1614م (1023هـ)[131].

في لوحة معركة "إيغيرويلا"، لوحة (4)، تَبدو صومعة جامع غَرْنَاطَة بهيئة غريبة، لا تتفق مع ما كان سائدًا- وظلت بعض نماذجه باقية- في عمارة صوامع مساجد الأندلس، حيث بَدَت الصومعة من طابقين، يَتخلل كلٌ منهما نوافذ مَعقودة بعقود نصف دائرية، بكلٍ من الجهتين- الشمالية والغربية- المرئيتين، مُوزَّعة على مستويين أفقيين، لتشغل جميعها جُلّ واجهتي الصومعة، ويؤطر كلٌ من الطابقين إطارٌ بارزٌ إلى الخارج، مُتوّجٌ بشريط من الشُّرّافات، التي وصفها مالدونادو بأنها مُزيّفة (فالصو)، لأنها مَوشورية الشكل، بدلًا من كونها مُسنّنة (مُدَرَّجة)، حسب المعهود[132]، كما يَعلو الطابق الثاني من الصومعة قُبّة، يَخرج من مركزها جَامُورٌ (قضيب)، ينتهي أعلاه بشكل ديكٍ ناشرٍ جناحيه.

أما لوحة هيلان، لوحة (5)، المؤرخة بعام 1614م (1023هـ)، فقد ذَكَرَ بالباس أن هذا الرّسام، لم يَصِل إلى غَرْنَاطَة من إشبيلية حتى عام 1613م (1022هـ)، وبالتالي، اعتمد في رسمه للصومعة على رسمٍ آخر كان سابقًا،

---

[124]- Balbás. La mezquita mayor. P.425.

[125]- Balbás. La mezquita mayor. P.425.

[126]- مالدونادو. عمارة المساجد. جـ4، ص96.، وانظر أيضًا:

Puertas. La mezquita aljama. P.61.

[127]- Balbás. La mezquita mayor. P.425.

[128]- انظر: بالباس. تاريخ إسبانيا. مج2، جـ2، ص47، 65، 84- 86، 161، 162- 163، 267- 269.

[129]- هي معركة دارت رَحاها بين النَّصارى والمُسْلِمين في فَحْص غَرْنَاطَة عام (834هـ/ 1431م). براثاليس، أوثال. بحثا عن غرناطة. ص250.

[130]- Puertas. La mezquita aljama. P.43- 44.

[131]- Balbás. La mezquita mayor. P.424., Puertas. La mezquita aljama. P.50, 61.

[132]- مالدونادو. عمارة المساجد. جـ4، ص96.

وفيه تظهر الصومعة خالية من القسم العلوي منها[133]، بيد أن هذا الرّسم يَبدو الأكثر اتفاقًا وملائمة لطريقة وأسلوب بِناء صوامع المساجد الأندلسية خلال عصر الخِلافَة (316- 422هـ/ 929- 1030م)[134].

نظرًا لهذا التناقض الجَوْهري بين كلٍ من اللوحتين، فقد ارتأى بعض الباحثين الإسبان دِقّة لوحة هيلان لصومعة جامع غَرْنَاطَة، وأنها كانت الأكثر مِصداقية وواقعية، مقارنة بلوحة الأُسْكُوريال[135]، آخذين في الحسبان طريقة رَصّ الكُتَل الحَجَريّة لواجهات صومعة جامع غَرْنَاطَة التي تَظهر- في لوحة هيلان- بطريقة آدْيَة وشِنّاوي (Soga y Tizon)، ومماثلتها لنفس أسلوب البِناء بصومعة سَان خُوسي (San José)، بالقصبة القديمة من غَرْنَاطَة[136]، لوحة (6)، الأمر الذي حَمَل أولئك الباحثين على الاعتقاد أن صومعة جامع غَرْنَاطَة، كانت على غِرار صومعة سان خُوسيه من الناحية المعمارية الإنشائية[137]، كما أضاف بويرتاس، أنه اعتمادًا على لوحة بيدرو كريستو الثاني (Pedro Cristo II)، وغيرها، يُمكن القول أن المئذنة كانت تحتوي على نوافذ عَمياء (صَمّاء)، وأخرى مفتوحة لإضاءة دَرَج الصومعة من الداخل، رغم أنها لا تظهر في لوحة هيلان، حيث أنها يجب أن تكون- حسب كلامه- فوق هذا المستوى الذي يبدو في تلك اللوحة، الذي تمّ هَدْمه بالفعل، كما يعتقد الباحث المذكور، أن تلك النوافذ الصّمّاء والمفتوحة، كانت على غِرار نوافذ صومعة جامع قُرْطُبَة، من عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (340هـ/ 951م)[138]، شكل (15).

أيضًا، واعتمادًا على لوحة هيلان، يُمكن القول- وهو مُقتضى الحال- أنه كان لصومعة جامع غَرْنَاطَة مدخلٌ من داخل الجامع، بالضلع الجنوبي منها، لوحة (5)، معقودٌ بعَقْدٍ نصف دائري متجاوز، غير كامل التّسنيج[139]، ورغم أن عَقد المدخل الذي يظهر باللوحة، نصف دائري غير متجاوز، إلا أن مالدونادو أشار إلى أن الرّسام المذكور، كان لا يُعير انتباهًا للعَقْد الحُدْوي في رسوماته[140].

أما الطابق الثاني للصومعة، الذي لا يَظهر في لوحة هيلان، فقد أفاد بويرتاس، اعتمادًا على بعض لوحات الفنانين الأوروبيين، فيما بين عامي 1563م (971هـ)، 1567م (975هـ)، أن المئذنة كانت قائمة ببنائها الأصلي خلال تلك الفترة، غير أنه تمّ هَدْم الجزء العُلوي منها- أي الطابق الثاني- وإبداله بشُرْفة هرمية الشكل لوضع النَّاقوس، وفي عام 1588م (996هـ)، تمّ هَدْم الصومعة بالكُلّيّة[141]، غير أنه في ضوء لوحة ميغيل سوبرينو، لوحة (2)، يُمكن تَصَوّر عمارة القِسْم العُلْوي من الطابق الأول مع الطابق الثاني للصومعة، والقول أنه كان كذلك على غِرار صومعة جامع قرطبة (340هـ/ 951م)، شكل (15)، أي أن أعلى واجهات الطابق الأول كانت مُؤطّرة ببائكة من النوافذ العَمياء ذات العَقْد الحُدوي المتجاوز، يعلوها إفريز ضَيّق، مُتوجٌ بصَفّ من الشُّرّفات المُسَنّنة، وكذلك الأمر بالنسبة

---

[133]- Balbás. La mezquita mayor. P.424.

[134]- مالدونادو. عمارة المساجد. جـ4، ص96.، وانظر أيضًا:

Puertas. La mezquita aljama. P.61.

[135]- مالدونادو. عمارة المساجد. جـ4، ص95- 96.،

Balbás. La mezquita mayor. P.424.

[136]- حَلَّت كَنيسة "سان خُوسي"، مَحَل أحد المساجد القديمة بقَصَبَة المدينة، كان يُعرف بـ "مسجد المُرابطين"، الذي وَرَد ذِكْره في بعض المصادر التاريخية. ابن عبد الملك. الذيل والتكملة. جـ4، ص472.، بالباس. تاريخ إسبانيا. مج2، جـ2، ص267.

[137]- مالدونادو. عمارة المساجد. جـ4، ص96.،

Balbás. La mezquita mayor. P.424., Puertas. La mezquita aljama. P.61., Moreno. Noticias para la Arqueología. P.258.

[138]- Puertas. La mezquita aljama. P.63.

[139]- انظر:

Balbás. La mezquita mayor. P.424.

[140]- مالدونادو. عمارة المساجد. جـ4، ص95- 96.

[141]- Puertas. La mezquita aljama. P.48- 49.

للطابق الثاني منها، الذي كان مسقوفًا بقبة نصف كروية، حسبما كان في صومعة جامع قرطبة[142]، وكما يَظهر في لوحة ميغيل سوبرينو، لوحة (2)، غير أن الجديد هو أنه يَخْرج من مركز تلك القبّة جامُور (قَضيب) من المَعْدن، ينتهي أعلاه بديكٍ ناشرٍ جناحيه، حسبما يتضح من لوحة معركة "إيغيرويلا"، لوحة (4)، وغيرها[143].

الواقع، فقد أشار الباحثون الإسبان، إلى أن هنالك إشارة تاريخية عند ابن شاهين المِصْري (ت 920هـ/ 1514م)، تؤكد صِحّة ما يتعلق بوجود هذا الدّيك أعلى جامور صومعة جامع غَرْنَاطَة، الذي يَظْهر في لوحة معركة "إيغيرويلا"[144]، غير أن إفادة ابن شاهين لا تَنْصرف إلى صومعة المسجد الجامع في غَرْنَاطَة، حيث أفاد بقوله: (وفيه، في عاشره، خَرَجتُ من غَرْنَاطَة إلى جِهَة الرّبَض بها، وهو المَعروف برَبَض البَيّازِين، فرأيناه ورأينا جامعه الأعْظَم، وهو غَرِيب من أحسن الجوامع بناءً، به السَّوارِي الرخام الأبيض [كذا] الأنِيقة، واجْتَزْنا في مُرُورنا بالمسجد الذي بمنارته في مكان الهِلال، هيئة دِيكَة، باسطة جناحيها، ويُعرف عندهم بفَرُّوج الرّواح، أي الرّياح، ورأيتُ من ذَكَرَ أنه وُضِع طَلْسَم لمَنْع الرياح العظيمة، ويَذْكُرون أنه لولاه لهَبّت الرياح على غَرْنَاطَة، وأَضَرّت بحَالها، بل أهْلَكَتْها)[145].

من هذا يَتَبيّن الخَلْط الذي وقع فيه أولئك الباحثون الإسبان، حيث حَمَلوا إفادة ابن شاهين على المسجد الجامع للمدينة، في حين أنه كان وصفًا لأحد مساجد رَبَض البَيّازِين، غير أنه يَحِق التساؤل: هل كان هذا الطّلْسم على هيئة ديكٍ ناشرٍ جناحيه أيضًا بصومعة جامع غَرْنَاطَة؟ اعتمادًا على لوحة معركة "إيغيرويلا"، لوحة (4)، يُمكن القول أن ذلك الطّلْسم كان كذلك بالمدينة الأم (غَرْنَاطَة)، أعلى صومعة مسجدها الجامع، كما هو الحال في رَبَض البَيّازِين، لا سيما وقد تَكَرَّر هذا الأمر مَرّة أخرى فوق أحد أبراج أسوار المدينة، حسبما أفاد العُمَريّ، في سياق وصفه لمدينة غَرْنَاطَة وجَبَلَيْها، بقوله: (وهنالك بُرج الدّيك، عليه دِيك نُحاس رَأسه رأس فَرَس، وعليه صُورة راكب بحَرْبَة ودَرَقَة، من حيث هَبّت الريح دار وَجْه الرّاكب)[146]. وربما كان هذا كله بالنماذج الثلاثة المذكورة، في المرحلة الأخيرة من تاريخ غَرْنَاطَة، خلال عصر بَنِي نَصْرٍ (635- 897هـ/ 1237- 1492م)[147]، أما في العصر المُرابطي، فالظاهر أن تلك القُبّة- التي تَعْلو سَقْف الطابق الثاني من صومعة جامع غَرْنَاطَة- كان يَخْرج من مَركزها هذا الجامور، ليتخلّله ثلاث- أو أربع- رُمّانات مُذَهّبة، وفي طَرْفه سَوْسَنَة، مُحاكاة لصومعة جامع قرطبة[148]، شكل (15).

وعن مَوْقع الصومعة من الجامع، فقد أشار الباحثون الإسبان إلى أنها كانت بجوار المدخل الرئيس للجامع، بالواجهة الشمالية منه[149]، وإن كان بويرتاس قد حَدّد موقعها على يسار هذا المدخل الرئيس، بعيدًا عنه بعض الشئ، مَحَل إحدى دُعامات الكاتدرائية، حيث أن الأمر كان قد اقتضى- أثناء مراحل بنائها- هَدْم صومعة الجامع لإقامة تلك

142- انظر: المقري. نفح الطيب. جـ1، ص547- 548.، بالباس. تاريخ إسبانيا. مج2، جـ2، ص163- 164.،
Puertas. La mezquita aljama. P.63.

143- انظر أيضًا:

Puertas. La mezquita aljama. P.45.

144- Balbás. La mezquita mayor. P.415., Puertas. La mezquita aljama. P.44.

145- ابن شاهين، زين الدين عبد الباسط بن خليل. الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم. المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1435هـ/ 2014م، جـ3، ص120.

146- العمري. مسالك الأبصار. جـ4، ص230.

147- أشار غوميث مورينو، ضمن حديثه عن قَصْر بَادِيس بن حَبُّوس الصِّنْهاجِيّ بغَرْنَاطَة، أنه كان يُسَمّى في القرن السادس عشر (10هـ) بـ "بَيْت الدِّيك"، (Casa del Gallo)، وأن أهل غَرْنَاطَة المُوريسْكِيّون، كانوا يُسَمُّونه "دِيك الرّيح"، ومن هنا جاء اسمه المتأخر. مورينو. الفن الإسلامي. ص306، 309.، وانظر أيضًا: مالدونادو. عمارة القصور. جـ1، ص342.

148- انظر: المقري. نفح الطيب. جـ1، ص548، 563.

149- مالدونادو. عمارة المساجد. جـ4، ص97.،
Balbás. La mezquita mayor. P.422., Puertas. La mezquita aljama. P.53, 60.

الدعامة[150]، شكل (2)، غير أن مالدونادو تَعَقّب بويرتاس في تحديد هذا الموقع على يسار المدخل الرئيس الشمالي، حيث يَرى أن موقعها الرَّسمي بجوار هذا المدخل إلى جهة اليمين، وفق ما كان سائدًا في عصر الخِلافَة بقُرْطُبَة[151]، كما أن أنطونيو ألماجرو، حدد موقع صومعة الجامع على يسار المدخل الشمالي مباشرة، مَحَل إحدى دعامات الكاتدرائية، شكل (3)، بيد أن المُخطط المنسوب إلى سيلوي- الذي وَقَع على عاتقه مشروع بناء الكاتدرائية- يؤكد صحة اعتقاد مالدونادو، وأن موقع صومعة الجامع كان على يمين المدخل الشمالي مباشرة وليس عن يساره، شكل (10)، الأمر الذي يعكس أيضًا تأثير عمارة جامع قُرْطُبَة، في تحديد موقع الصومعة بالمسجد الجامع في مدينة غَرْنَاطَة، من حيث إقامتها في مجاورة المدخل الرئيس الشمالي- على محور المحراب- عن يمينه. شكلان (4، 8).

يَتَبَقى الحديث عن تلك الإشكالية المُتعلقة بتاريخ بناء هذه الصومعة، حيث يَرْبط كلٌ من غوميث مورينو، توريس بالباس، بينها وبين صومعة "سان خوسي" بالقَصَبَة القديمة، لوحة (6)، من حيث الهيئة المعمارية، وطريقة رَصّ قوالب أحَجْار الجدران بأسلوب آدْيَة وشِنّاوي، وفْق الأسلوب القُرْطُبِيّ في عصر الخِلافَة[152]، ويتفق معهما في ذلك كلٌ من بويرتاس[153]، مالدونادو[154]، مانويل مورينو[155]، غير أن غوميث مورينو يَنْسِب صومعة "سان خوسي" إلى القرن العاشر الميلادي (4هـ)، أي خلال عصر الخِلافَة (316- 422هـ/ 929- 1030م)[156]، في حين أن بالباس ينسبها إلى القرن الحادي عشر الميلادي (5هـ)، أي فترة عصر مُلوك الطوائف (422- 484هـ/ 1030- 1091م)[157]، وبناءً على هذا، فإن الذي يُمكن ترجيحه، هو أن صومعة جامع غَرْنَاطَة، التي تبدو في لوحة كلٍ من هيلان، لوحة (5)، وسوبرينو، لوحة (2)، تَعُود إلى مرحلة تأسيس الجامع، في عهد حَبُّوس بن ماكْسَن تحديدًا (411- 428هـ/ 1020- 1036م)، وليست ضمن التوسعة خلال العصر المُرابطي[158]، إذا ما وضعنا في الحُسبان الأبعاد المُتواضعة، التي أفاد بها بالباس حول طول قاعدة وارتفاع الصومعة[159]، بما لا يتناسب مع مساحة الجامع الإجمالية بعد مرحلتين متتاليتين من الزيادة خلال ذلك العصر المُرابطي، الأمر الذي يَحمل على القول أن المسجد الجامع في غَرْنَاطَة ظَلّ مُحْتفظًا- ضمن عمليات التوسعة المُرابطية- بصومعته الأولى التي ترجع إلى العصر الزّيريّ.

2- دار الوُضوء.

من بين المُعطيات المُهِمّة جدًا، التي أفاد بها مونزر حول الجامع الأعظم بمدينة غَرْنَاطَة، هو ما سَجّله من مَعْلومات دَقِيقة حول دار الوُضوء الكُبرى التابعة له، بقوله: (خارج هذا المَسْجد يوجد بِناء، في وَسْطه حوض طويل جدًا من الرّخام، طوله عشرون خُطْوة، يَغْتسل فيه المُسْلِمون قبل دخول المسجد، وحَوْل البِنَاء توجد مبانٍ صغيرة،

150- Balbás. La mezquita mayor. P.417.

151- مالدونادو. عمارة المساجد. جـ4، ص97.

152- Moreno. Guía de Granada. P.283., Balbás. La mezquita mayor. P.424- 425.

153- Puertas. La mezquita aljama. P.61.

154- مالدونادو. عمارة المساجد. جـ4، ص77، 96، 106.

155- Moreno. Noticias para la Arqueología. P.258.

156- مورينو. الفن الإسلامي. ص205.

157- بالباس. تاريخ إسبانيا. مج2، جـ2، ص268- 269.، وانظر أيضًا: مالدونادو. عمارة المساجد. جـ4، ص106- 109.

158- ربما كان هذا أيضًا هو مَفَاد وجهة نَظَر مالدونادو بعد عَرْضه ومناقشته لتلك القضية. انظر: مالدونادو. عمارة المساجد. جـ4، ص96، 106- 109.

159- وهي 4,46م، فيما يتعلق بطول القاعدة، 13,40م، أو 16,00م-حسب افتراض مالدونادو- بالنسبة لارتفاع الطابق الأول منها، و4,00م لارتفاع الطابق الثاني. مالدونادو. عمارة المساجد. جـ4، ص96.،

Balbás. La mezquita mayor. P.425.

مُزوّدة بأنابيبٍ لصَرْف المياه، كانت لها فَتْحة على سطح الأرض في طول ذِراع وعرْض شِبْرٍ، يَمْضِي الماء الجاري تحتها، يوجد كذلك حوض صغير للتّبَوّل، كل هذا شُيّد بعناية ودِقّة مما يُثِير الإعجاب)[160].

إن هذا الوَصف الدّقيق الذي دَوّنَه مونزر حول عمارة دار وُضوء الجامع الأعظم بغَرْنَاطَة، هو نَفْسه الذي أشارت إليه المصادر التاريخية، ضمن الحديث عن عمارة دار وُضوء جامع القُرَوِيّين بحاضرة فاس، ويَتّفق في الوقت ذاته مع الحالة المعمارية الرّاهنة التي عليها دار الوُضوء هذه، الواقعة بإزاء المدخل الرئيس الشمالي للجامع، حيث أفاد الجُزْنائِي في وَصْفها، بَعد بِنائها- مِنْ قِبَل أحد المُحْسنين- خلال عهد الناصر محمد المُوَحِّدِيّ، بقوله: (وجَعَل لها خمسة عَشر بَيْتًا،...، وفي كل بَيْت [مرحاض] أُنْبُوب من نُحاسٍ، يَنْصَبّ منه الماء في نَقِيرٍ مَحْفُور في حَجَرٍ، طُوله شِبْران وعَرْضه شِبْر وعُمْقه نِصف شِبْر،...، وجَعَلَ بوَسْطِها بِيلَة [صهريج/ حوض] من الحَجَر الأحمر، طولها عِشْرون شِبْرًا، وعرْضها خَمْسة أَشْبار، وفي وَسْطِها ذِراع مُجَوّف، ورُكِّبَت عليه شبْه خُرْشُفَة، فيها عِشرون ثُقْبًا كُلها من نُحاس مُمَوّهٍ بالذّهَب، يَنْصَبّ منها الماء للبِيلَة)[161].

في ضوء تلك الإفادات التاريخية، يتأكد القول أن تخطيط وعمارة دار وُضوء الجامع الأعظم في مدينة غَرْنَاطَة، كانت مُماثلة لدُور الوُضوء المُلْحقة بالمساجد الجامعة على الضّفّة الأخرى من المَضِيق بأرض العُدْوة، التي لا يزال منها الكثير قائمًا إلى الوقت الحاضر[162]، شكل (16).

بناء عليه، يُمكن القول أن دار وُضوء المسجد الجامع في غَرْنَاطَة، كانت ذات مَدْخل رئيس واحد، مَعْقود- على أغلب الظن- بعَقْد حُدْوي مُتجاوز، يُفْضِي إلى دِهْليز (مَمَرّ)، مُستطيل المَسْقط، يَنْعَطِف يَسارًا، بحيث لا يَفتح مباشرة على الداخل، مُراعاة للخصوصية[163]، وبمُنتصف أرضية الصحن من دار الوُضوء، كان ثمّ صِهْريجٌ (حَوْض) من الرّخام- حسب إشارة مونزر- يَمتلئ بالماء الجاري لأعمال الوُضوء أو التّطهر، يَبْلغ طوله عِشرون خُطْوة، أي حوالي 15,00م[164]، الأمر الذي ربما يُعْتقد معه أن فيه شيئًا من المُبالغة[165]، غير أن مونزر أكد مُعطياته حول طول هذا الصّهْريج بقوله: (حَوْض طويل جدًا)، وهو ما يَدل على مدى كِبَر مساحة دار الوُضوء التي كانت تَخُصّ المسجد الجامع في حاضرة غَرْنَاطَة.

أيضًا، من المُعطيات التي أفاد بها مونزر، أنه حَوْل هذا الصّهْريج الذي يتوسط فِناء دار الوُضوء، تَتَوَزّع- بالجهات الأربع من البِناء- بُيُوت الماء[166] (بُيُوت الطّهارة/ المَرَاحيض)، الخاصة بقضاء الحَاجَة، مُتلاصقة بجوار بعضها البعض، بحيث يتم الدخول إلى كلٍ منها، من خلال فتحة باب، يُغلق عليها مِصْراع خشبي، مَعْقودة- على غالب الظن أيضًا- بعَقْد حدوي متجاوز، أما في أرضية بُيُوت الماء- على يسار الداخل إليها- فثَمّ نَقِير (حَوْض حَجَري صغير)، طوله ذِراعٌ وعَرْضه شِبْر، أي حوالي 00,50م× 00,25م، وفيه يَنْساب الماء الجَاري- لأعمال التّطهر- من خلال أُنْبُوب نُحاسِيّ، مُغَيّب في جُدران البِنَاء، هذا فضلًا عن حوض صغير (كُرْسيّ) لقضاء الحَاجَة، أما الصحن (الفِناء) المَرْكزي، فلم يُمِدّنا مونزر بأيّة معلومات عمّا إذا كان مكشوفًا (سَماويًا)، أو مُسَقّفًا بقُبّة مثلما هو الحال بدار

160- مونزر. رحلة. ص86.

161- الجزنائي. جني زهرة الآس. ص72.

162- انظر كذلك:

Balbás. La mezquita mayor. P.425- 426.

163- حسبما يَتضح- على سبيل المثال- في تخطيط دار وُضوء جامع المدرسة البُوعِنانِيّة، شكل (16)، وغيرها من دور الوضوء بالمساجد الجامعة في المغرب الأقصى، منذ العصر المُوَحديّ (540- 668هـ/ 1145- 1269م)، وخلال العصور اللاحقة.

164- على تَقدير أن الخُطْوة حوالي 00,75م، في المتوسط. الجليلي. المكاييل والأوزان. ص55- 56.

165- هذا إذا ما وضعنا في الحُسبان أن طول صِهْريج دار وُضوء جامع القُرَوِيّين- حسب إفادة الجزنائي المذكورة أعلاه- عشرون شبرًا، أي حوالي 4,50م.

166- هكذا وَرَد تسميتها في المصادر الفقهية الأندلسية. ابن رشد. فتاوى. جـ2، ص901.

وُضوء جامع القُرَويّين في مدينة فاس[167]، غير أن الذي يُمكن اعتقاده، هو أنه كان سماويًا، حيث لم يُشِر مونزر إلى أيّة أوصاف أو إفادات تتعلق بالسَّقف، على خلاف باقي عناصر ومُفْردات دار الوُضوء، التي ذَكَرَها ووَصَفَها بدِقّة.

وعن تاريخ بِناء هذه الدّار، فالذي يُمكن القول به، هو أنها كانت من بين أعمال الإضافة- بالإنشاء ابتداءً أو إعادة البِناء- التي اقْتَضَتْها أعمال التوسعة بالجامع في العصر المُرابطي، خلال المرحلة الثانية فيما بين عامي (516- 517هـ/ 1122- 1123م)، تحت نَظَر الوزير أبي محمد ابن مالك المَعَافِريّ[168]، إذ ذاك مُقْتضى الحال، تَلْبِية للحَاجَة، بعد أعمال التوسعة الكبرى التي هَمّت الجامع في تلك المرحلة الثانية، لا سيّما وأن تحديد موقعها وبنائها خارج الجامع بالجهة الشرقية إزاء مُقَدِّم الجامع-حسبما يأتي توضيحه آنفًا- كان مترتبًا ولاحقًا على إضافة بلاط زائد بتلك الجهة خلال هذه المرحلة، حسب إفادة ابن الزُّبَيْر[169]، ومن جانب آخر، فإن الإشارات المصدرية يُستفاد منها أن دار وُضوء الجامع، كانت قائمة البِناء خلال فترة ولاية الوزير ابن مالك المَعَافِريّ لمدينة غَرْنَاطَة، كما وقع التّصريح به عند ابن الخطيب، ضمن ترجمته للخطيب الإمام بجامع غَرْنَاطَة، الفقيه علي بن محمد بن دُرّي (ت 526هـ/ 1131م)[170]، الأمر الذي يَتَعَيّن معه القول بنِسْبة دار وُضوء الجامع للعصر المُرابطي، وخلال أعمال التوسعة بالمرحلة الثانية فيما بين عامي (516- 517هـ/ 1122- 1123م) تحديدًا.

3- الجُبّ.

أفاد مونزر في سياق حديثه عن دار الوُضوء بجامع غَرْنَاطَة، بقوله: (يوجد أيضًا بِئْرٌ جميلٌ لماء الشُّرْب)[171]. ومَوقع هذا البِئْر، الذي لا يزال قائمًا إلى الوقت الحاضر[172]، وِفْقا للمُخطط الذي أعده بويرتاس، إلى جهة الشرق خارج المسجد، في مقابلة مُقَدّم الجامع، شكل (2)، وهو ما يَحمل على القول أن مَوقع دار وُضوء الجامع كان ثمّ، حيث بِئْر الماء المُتّصل بها، أي أن موقعها كان كذلك بالجهة الشرقية[173]، فيما يقابل بيت الصلاة.

أما عن عمارة هذا الجُبّ، فقد أشار بالباس إلى أنه يَشْغل مساحة مستطيلة المَسْقط 8,45م× 6,45م، مُقَسّمة من الداخل إلى ثلاث بلاطات، من خلال بائكتين، كلٌ منها من ثلاثة أعمدة من الطوب الآجُر[174]، تَحْمل فوقها أَسْقُف البِئْر، وهي عبارة عن أَقْبِية أسطوانية ومتقاطعة[175]، شكل (17). هذا، وقد أشار بويرتاس، أنه ضمن أعمال التنقيب الآثارية، التي أُجْرِيت بجوار الكاتدرائية عام 1990م (1411هـ)، تمّ اكتشاف مُخطط قُبّة ثمانية الأضلاع، كانت تعلو فُوّهَة هذا الجُبّ، وارتأى أن تاريخ بناء القُبّة يرجع إلى العصر النَّصْري، وإلى عهد السلطان محمد الخامس الغني بالله (755- 794هـ/ 1354- 1391م) تحديدًا، اعتمادًا على السّمات الفنية للبقايا الزخرفية منها، كما أشار من جانبه أن تلك القُبّة كانت مُقامة على أعمدة تَحْمل عُقودًا جِصّيّة مُزخرفة[176]، وبهذا يَتَبَيّن، تَعَاهُد حُكّام بَنِي نَصْرٍ للمسجد الجامع من حاضرتهم غَرْنَاطَة، بأعمال التّجديد والإصلاح، مع الزخرفة والتّنْميق، كلما دَعَت الحَاجَة إلى ذلك.

---

[167]- الجزنائي. جني زهرة الآس. ص71.

[168]- ابن الزبير. صلة الصلة. ص129.، ابن الخطيب. الإحاطة. جـ3، ص524.

[169]- ابن الزبير. صلة الصلة. ص129.

[170]- ابن الخطيب. الإحاطة جـ4، ص102.

[171]- مونزر. رحلة. ص86.

[172]- Puertas. La mezquita aljama. P.63.

[173]- وهو ما أشار إليه كذلك البعض.

Balbás. La mezquita mayor. P.425.

[174]- Balbás. La mezquita mayor. P.426.

[175]- Puertas. La mezquita aljama. P.63.

وللمزيد عن وَصْف وخصائص هذا الجُبّ من الناحية المعمارية، انظر: مالدونادو: عمارة المياه. ص24- 25.، براثاليس، أوثال. بحثا عن غرناطة. ص246- 247.

[176]- Puertas. La mezquita aljama. P.63.

وعن تاريخ بناء هذا الجُبّ، فيعتقد بويرتاس أنه يرجع إلى عهد تأسيس الجامع، خلال المرحلة الأولى من العصر الزّيريّ[177]، إلا أن الذي يُمكن اعتقاده، هو أنه يَعُود هو الآخر- مع دار الوُضوء- إلى أعمال التجديد والتوسعة بالجامع إبَّان العصر المُرابطي، خلال المرحلة الثانية بين عامي (516- 517هـ/ 1122- 1123م) تحديدًا، لاتصال بِناء كلٍ منهما بالآخر.

4- السّقّايَة.

من بين الإفادات المُهمّة التي جادَت بها المصادر التاريخية، تلك المُتعلقة بإلحاق سَقّايَة، ضمن أعمال التجديد والتوسعة بالمسجد الجامع في غَرْنَاطَة، خلال العصر المُرابطي، حيث أشار ابن الأبّار، في سياق ترجمته للوزير عبد الرحمن بن مالك المَعَافِريّ، بقوله: (وكان إليه النّظَر في المُسْتَخْلَص بإشْبِيلِيّة وغَرْنَاطَة، وأَوْصَى بسَقّاية تُساق إلى غربيّ الجامع، فأَرْسل إلى أن يُنْفَق فيها سَبْع مئة مِثْقال)[178]. ورغم أن تلك الإفادة مُبْهَمة، لا تصريح فيها بإضافة تلك السّقّاية في جامع مدينة غَرْنَاطَة على وجه التحديد، غير أنه من خلال إفادة ابن الزُّبَيْر، يُمكن التأكيد على أن إلْحاق تلك السّقّاية كان بجامع غَرْنَاطَة، لا سيّما أنه كان وَاليًا على مدينة غَرْنَاطَة دُون حاضرة إشْبِيلِيّة[179]، حيث أشار ابن الزُّبَيْر إلى أن ذلك الوزير المَذْكُور، له عِدّة آثار بمدينة غَرْنَاطَة، كلها تَخُصّ جامع المدينة الأعظم، منها الحَمّام بجَوْفيّ الجامع[180]، وكذلك إليه تُنْسَب- حسبما سبق ذكره- الزّيادة في مُقَدّم الجامع فيما بين عامي (516- 517هـ/ 1122- 1123م)، وإبدال أَرْجُل عُقُوده بأعمدة الرّخام، بعدما جَلَب لها القواعد والتيجان من حاضرة قُرْطُبَة[181].

بناءً عليه، يُمكن القول أن الوزير ابن مالك المَعَافِريّ، قام أيضًا بإلحاق سَقّاية، ضمن أعمال التجديد والتوسعة التي تَوَلّى النّظر فيها بالجامع الأعظم من مدينة غَرْنَاطَة، وكان موقعها- حسب إفادة ابن الأَبّار- بالجهة الغربية منه، وعلى غالب الظن بجوار أحد مداخل الجامع الرئيسة الثلاث، التي كانت تُفْضِي إلى بيت الصلاة من تلك الجهة، ولعل هذا كان تأَسّيًا كذلك بجامع قُرْطُبَة، مع أعمال التّوسعة التي تمّت به خلال عهد الخليفة الحَكَم المُسْتَنْصِر، بين عامي (351- 355هـ/ 962- 966م)، حيث أفادت المصادر التاريخية أنه أَجْرى الماء إلى سَقّايَات اتّخَذَهُن على أبواب الجامع بجهاته الثلاث الشرقية، والغربية، والشمالية[182]، الأمر الذي يَتَبَيّن من خلاله مدى تأثير عمارة جامع قُرْطُبة، في عمارة المساجد الجامعة بالأندلس، خلال العصر المُرابطي.

5- بَيْت الوَقْد.

في سياق حديثه عن جامع قُرْطُبَة، أفاد الإدْرِيسي، أنه عن شمال المِحراب: (بَيْتٌ فيه عِدَدٌ وطُسُوت ذَهَب وفِضّة وحَسَك وكُلّها لِوَقِيد الشَّمْع في كل لَيْلة سبعة وعشرين من رمضان المُعَظّم)[183]. كما أفاد مونزر ضمن حديثه عن الجامع الأعظم بمدينة أَلْمِرْيَة، بقوله: (زُرْنَا غُرَف الزّيْت المُهْداة للمسجد)[184]. وأشار كذلك إلى أن المسجد الجامع بمدينة غَرْنَاطَة كان به مَصابيح كثيرة مُضاءة[185]، وبه شمعدانًا هائلًا، يُوقِدون فيه- أي المُسْلِمُون- في أَعْيادهم أكثر

وانظر أيضًا: براثاليس، أوثال. بحثا عن غرناطة. ص247.

[177]- Puertas. La mezquita aljama. P.63.

[178]- ابن الأبار. التكملة. مج3، ص149.

[179]- هذا هو مفاد كلام ابن الزبير، ضمن ترجمته للوزير المذكور، بقوله: (وفي أثناء عَمَلِه بغَرْنَاطَة وُلّي مُسْتَخْلَص إشبِيلِيَّة). ابن الزبير. صلة الصلة. ص129.

[180]- ابن الزبير. صلة الصلة. ص129.، ابن الخطيب. الإحاطة. جـ3، ص524.

[181]- ابن الزبير. صلة الصلة. ص129.، ابن الخطيب. الإحاطة. جـ3، ص524.

[182]- ابن عذاري. البيان المغرب. جـ2، ص225.، المقري. نفح الطيب. جـ1، ص555.

[183]- الإدريسي. نزهة المشتاق. ص577.

[184]- مونزر. رحلة. ص73.

[185]- مونزر. رحلة. ص86.

من مائة شَمْعة[186]. فضلًا عن هذا، فقد ذَكَرَ البعض- حسب وثيقة إنجليزية تَكْشف كيفية سُقوط غَرْنَاطَة- أنه كان بالمسجد الجامع للمدينة ثلاثمائة مِصْباح من الذّهَب والفِضّة، تَمّ نَهْبها والاستيلاء عليها مِن قِبَل مَلِك إسبانيا[187].

في ضوء تلك المعطيات، يُمكن القول أن جامع غَرْنَاطَة، كان هو الآخر يَشْتمل على بَيْت للوَقْد، لحِفْظِ أدوات الوَقْد وزَيْت الاسْتِصْباح، فضلًا عن بعض مُتعلقات الجامع الأخرى، كالفُرُشِ ونحوها[188]، كَوْنه المسجد الأعظم بالمدينة، ولا شك أن احتياجاته لمثل تلك الأدوات والوسائل المُتعلقة بإنارته- مع كثرتها وتَنوّعها- كانت ضرورية، خاصّة أيام المُناسبات والمَواسم الدينية والأعياد، حسبما أشار مونزر، لا سيّما وأن بعضها كان من الذَّهَب والفِضَّة، الأمر الذي كان يَسْتَلْزم تخصيص بَيْت (مَخْزَن) لتلك الأدوات، مع الشّمُوع وزَيْت الاسْتِصْباح الخاص بوَقِيدها[189].

رغم أنه ليس بالإمكان- في ظل إغفال الإشارات التاريخية وغياب الشواهد المادية- مَعرفة موقع ذلك البَيْت الخاص بالوَقْد، ضمن عمارة جامع غَرْنَاطَة على وجه التحديد، إلا أن الذي يُمكن اعتقاده، هو أنه كان على يسار المِحراب، مما يَلِي جدار القِبْلَة، مثلما كان عليه الحال بجامع قُرْطُبَة، حسب إفادة الإدريسي المشار إليها آنفًا، فضلًا عن أن مونزر، عندما أشار إلى بَيْت الوَقْد بالمسجد الجامع من مدينة أَلْمِرْيَة، قَرَنَ بينه وبين وبَيْت الإمام[190]، الذي غالبا ما يكون هو الآخر على يسار المِحراب بالمساجد الجامعة بالأندلس والمغرب الأقصى، بما يُقَوّي الاعتقاد أن بَيْت الوَقْد في جامع غَرْنَاطَة، كان كذلك على يسار المِحراب، مما يَلِي جدار القِبْلَة.

6- خِزانة الكُتُب.

يُستفاد من كُتُب الفتاوى، إشارة تاريخية مُهمّة للغاية، حول أحد المُلْحَقات، وهي أنه كان للجامع الأعظم بتلك المدينة، خِزانة كُتُب (مَكْتَبَة) للاطلاع والمُدَارَسة، إذ نَجِد في فتاوى قاضي الجماعة بحاضرة غَرْنَاطَة، أبي القاسم ابن سَرّاج (ت 848هـ/ 1444م)، سؤال حول: (كُتُب مُحَبَّسَة في خِزانة الجامع الأعظم، فاشترط المُحَبِّس فيها ألّا تُقْرأ إلا في الخِزَانة المَذْكورة، وأن لا تُخْرج منها، ومنها ما اشْتَرَط أن يُخْرج لكن بَعْد وَضْع رَهْن أو ثِقَة)[191].

من تلك الإشارة، يَتَبَيّن أنه كان لجامع غَرْنَاطَة الأعظم خِزانة كُتُب كبرى، عبارة عن قاعة (بَيت/ مَكْتبة)، فيها كان يتم الاطلاع على مصادر العلوم الشَّرْعية والنَّقلية، التي كانت مُحَبَّسة عليها من قِبَل بعض المُحْسنين، والعلماء والفقهاء كذلك، غير أنه لا يُمكن تحديد مَوْقعها من الجامع على وجه الدِّقة، والظاهر أنها كانت مُلْحَقة بمُقَدِّم الجامع مما

---

[186]- مونزر. رحلة. ص86.

[187]- السنيدي. المنشآت الدينية والعلمية. ص109، ح(1).

[188]- أشارت كتب النوازل إلى أنه كان ثمّ حَبْسٌ خاص بفُرُش المساجد كالحَصِير وغيره. انظر: ابن الحاج، أبي عبد الله محمد بن أحمد. نوازل ابن الحاج التجيبي. منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، تطوان 1439هـ/ 2018م، ط1، جـ2، 263.، الونشريسي. أبي العباس أحمد بن يحيى. المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب. منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1401هـ/ 1980م، جـ7، ص129، 134، 139، 146، 160، 163، 164، 171، 184.

[189]- يُستفاد من كتب النوازل الفقهية، الأهميّة الكبرى التي أَوْلَتها الأحباس للشخص المسئول عن إنارة المساجد الجامعة، المعروف بـ "الوَقَّاد"، ولزَيْت الاسْتِصْباح الخاص بإنارة تلك المساجد. انظر: ابن بشتغير، أحمد بن سعيد. نوازل أحمد بن سعيد بن بشتغير اللورقي المالكي. دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1429هـ/ 2008م، ص294.، ابن رشد. فتاوى. جـ1، ص311- 312.، ابن لب، أبي سعيد فرج بن قاسم. تقريب الأمل البعيد في نوازل الأستاذ أبي سعيد. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/ 2004م. جـ1، ص142- 143.، ابن سراج. فتاوى. ص160- 161.، الونشريسي. المعيار المعرب. جـ7، ص57، 64-65، 85، 125- 126، 127، 128، 129، 132، 134، 139- 140، 160، 163، 165، 171، 183، 184.

[190]- مونزر. رحلة. ص76.

[191]- ابن سراج. فتاوى. ص160.

يَلِي جدار القِبْلَة، قياسًا على خِزَانات الكُتُب الصّغرى (الكُتُبيّات)، التي لا تزال بجدران قِبْلَة عديدٍ من المساجد الجامعة- وغير الجامعة- ببلاد المغرب الأقصى، خلال العصر المَرِينِيّ (668- 869هـ/ 1269- 1464م)، وما تلاه.

7- مُصَلَّى الجَنَائز.

أشار مونزر ضمن حديثه عن زيارته لجامع غَرْنَاطَة نهار يوم الجُمُعة، إلى أنه بعد انقضاء الصلاة: (وَصَلَت جِنَازة أحد المُسْلِمين، فقام الإمام بالصلاة أمام الجُثْمان صلاة طويلة)[192]. ورغم أن تلك الإشارة ليس فيها ما يُفيد صراحة: هل كان ذلك داخل الجامع أم بمُصَلَّى للجَنَائز مُلْحَقٍ به؟ إلا أنه اعتمادًا على بعض المُعطيات يمكن القول أنه كان هنالك مُصَلَّى جَنَائزيًا مُلْحقًا بالمسجد الجامع من مدينة غَرْنَاطَة.

أفاد الوَنْشَرِيسِيّ في "المِعْيَار"، أن السَّرَقُسْطِيّ (ت 865هـ/ 1460م)[193] سُئِل: هل يَجُوز الصلاة على المَيّت في صحن الجامع أم لا يُصَلَّى عليه إلا في رَحْبَته؟ فأجاب أن الصحن الذي يُغْلَق عليه باب المسجد له حُرْمة المسجد وحُكْمه، فلا يُصَلَّى فيه على مَيّت، لأن المَيّت لا يُدْخل إلى المسجد[194]. وعلى هذا كان عمل أهل الأندلس منذ القِدَم، وخلال العصور الإسلامية اللاحقة[195]، الأمر الذي اسْتَلْزم معه إلحاق ما عُرِف بـ "مُصَلَّى الجَنَائز"[196]، كمُلْحَقٍ معماري مُسْتَقِّل، مما يَلِي جدار قِبْلَة المساجد الجامعة، لوَضْع جُثْمان المُتَوَفَّى فيه، بدلًا من إدخاله المسجد[197]، وهذا ما يَتأكد في ضوء التوسعة الكبرى لجامع القُرَوِيّين من حاضرة فاس، خلال عهد الأمير علي بن يُوسُف بن تَاشُفِين، (531هـ/ 1136م)، حيث أفادت المصادر التاريخية إلْحاق مُصَلَّى جَنَائزيٍ، ضمن أعمال تلك التوسعة[198]، ولا يزال هذا المُصَلَّى قائمًا إلى الوقت الحاضر، شاهدًا بعمارته وفنونه على الأهمية الكبرى لهذا المُلْحق المعماري، كأقْدَم نَموذجٍ باقٍ في عمارة المساجد الجامعة بالمغرب الأقصى، ولعل من بين الإفادات المُهِمّة التي أشارت إليها المصادر التاريخية أيضًا، هو أن المَلَاحق والأعمال المعمارية التي نالت جامع القُرَوِيّين- ومن بينها ذلك المُصَلَّى الجَنَائزي- خلال تلك التوسعة المُرابطية، كانت تحت نَظَر الفقيه القاضي عبد الحق بن عبد الله ابن مَعِيشَة الغَرْنَاطَي[199]، ولعل هذا يَحمل على القول أن إحداث مُصَلَّى الجَنَائز بجامع القُرَوِيّين خلال العصر المُرابطي، كان تأَسّيًا بالمساجد الجامعة في الأندلس، وربما جامع حاضرة غَرْنَاطَة- المَنْسوب إليها الفقيه القاضي ابن مَعِيشَة- تحديدًا، لا سيّما وأن الإمام السَّرَقُسْطِيّ، صاحب الفتوى- بمَنْع إدخال المَيّت إلى المسجد- المُشار إليها آنفًا، كان من جُمْلة كبار فُقهاء حاضرة غَرْنَاطَة، خلال عصر بني نَصْر[200]، الأمر الذي يَدفع في النهاية إلى الاعتقاد بإلحاق ذلك المُصَلَّى الجَنَائزي أيضًا بعمارة المسجد الجامع في غَرْنَاطَة، مما يلي جدار القِبْلَة، ضمن أعمال التوسعة التي هَمّته خلال العصر المُرابطي.

192- مونزر. رحلة. ص96.

193- أبو عبد الله محمد بن محمد الأنصاري السَّرَقُسْطِيّ الغَرْنَاطِيّ. ترجمته، انظر: مخلوف، محمد بن محمد. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية. المطبعة السلفية، القاهرة، 1349هـ، ص260.

194- الونشريسي. المعيار المعرب. جـ7، ص163.

195- وذلك عملًا بأحد القوْلَيْن في مَذهب مالك، وهو كَراهة الصلاة على الجنائز في المسجد. انظر: ابن عبد البر، أبي عمر يوسف بن عبد الله. الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه المؤطأ من معاني الرأي والآثار. دار قتيبة، دمشق، دار الوعى، حلب- القاهرة، ط1، 1414هـ/ 1993م، مج8، ص274، 275- 276.

196- أفادت كُتُب السُّنَّة أن مُصَلّى الجنائز، كان معروفًا منذ عهد النبي صل الله عليه وسلم، في جوار المسجد النَّبَويّ من المدينة المنورة، بالجهة الشرقية منه. انظر: ابن حجر، أحمد بن علي. فتح الباري بشرح صحيح البخاري. دار التقوى للتراث، القاهرة، د.ت، مج3، الأحاديث رقم (1327- 1329)، ص242، 243.

197- كما هو معلوم، فإن مُصليات الجنائز كانت تُلحق بالمساجد الجامعة بالأندلس والمغرب الأقصى، ضمن عمارتها مما يلي جدار القبلة، بحيث لم تكن مُستقلّة البناء، مثلما هو الحال على سبيل المثال بجامع القُرَوِيّين في فاس، الآتي ذِكْره أعلاه، وذلك خلافًا لبلاد المشرق، إذ غَلَب عليها كونها مُستقلّة عن عمارة المساجد الجامعة.

198- ابن أبي زرع. الأنيس المطرب. ص75- 76.

199- ابن أبي زرع. الأنيس المطرب. ص75- 76.، الجزنائي. جني زهرة الآس. ص55.

200- انظر: مخلوف. شجرة النور الزكية. ص260.

8- بَيْت المِنْبَر.

لكَوْنه المسجد الجامع بالمدينة، فما من شك أنه كان ثَمّ مِنْبرٌ لخُطَب الجُمَع أو الأعْياد، وهذا ما يؤكده مونزر، عند زيارته لجامع المدينة الأعظم يوم الجُمُعة، بقوله: (رأينا إمامَهم الأعظم يَجْلس على مِقْعدٍ عالٍ، يُلْقي خُطْبة دِينية لمُدّة نِصف ساعة تقريبًا)[201]. غير أنه يَنبغي التساؤل: هل كان هذا المنبر مُتحركًا كما جرت العادة في المساجد الجامعة ببلاد الأندلس والمغرب الأقصى بحيث يتم حِفْظه داخل حُجْرة مُخَصّصة له بَعد الانتهاء من خُطْبة الجُمُعة؟

الواقع أنه ليس ثَمّة- في حدود ما أَمْكن البحث- إشارة تاريخية صريحة أو دلائل أثرية باقية، تُثْبت هذا من عدمه، غير أنه اعتمادًا على بعض المُعْطيات، يُمكن القول أنه كان هنالك بالمسجد الجامع في مدينة غَرْنَاطَة بيتٌ خاصٌ لحفظ المِنْبر به، ومن بين تلك المُعْطيات، أنه كان لمِنْبر جامع قُرْطُبَة- ضمن أعمال التوسعة والإضافة الحَكَمِيَّة (351- 355هـ/ 962- 966م)- بيتًا لحِفْظه مما يلي جدار القِبْلَة، على يَمِين المواجه للمحراب مباشرة[202]، ومن ناحية أخرى، فلا تَزال أعمال التوسعة والعمارة بجامع القُرَوِيّين في فاس (531هـ/ 1136م)، والجامع الأعظم بتِلِمْسَان (530هـ/ 1135م)، من عهد الأمير علي بن يُوسُف، دالّة على وجود هذا المُلحق المعماري بكل منهما على يَمين المواجه لمحراب كلٍ من الجامعين، ليس هذا وحسب، بل إن مِنْبَر جامع الكُتُبِيَّة، الذي صُنِع في حاضرة قُرْطُبَة- كما سبقت الإشارة- لجامع الأمير علِي بن يُوسُف بحاضرة مُرَّاكُش، نجده محمولًا على عَجَلات (بَكَرَات) مَعْدنية، أي أنه منبرٌ مُتحركٌ، وهو ما يَعني أنه كان هنالك بَيْتٌ لهذا المِنْبَر بجامع علي بن يُوسُف في حاضرة مُرَّاكُش، ولكَوْنه صُنِع في حاضرة قُرْطُبَة، عام (532هـ/ 1137م)، فإن هذا مما يَزيد في تأكيد القول بانتشار هذا المُلحق المِعماري بالمساجد الجامعة في الأندلس قَبْل وخلال العصر المُرابطي، الأمر الذي يَحمل في النهاية على الاعتقاد أن جامع غَرْنَاطَة الأعظم لم يَكُن لِيَشِذّ في هذا عن غيره من الجوامع بالأندلس خلال ذلك العصر، تأَسّيًا بعمارة جامع حاضرة قُرْطُبَة[203].

خاتمة.

ممّا سَبق تتضح الأهمية والمَكانة الكُبرى للمسجد الأعظم في مدينة غَرْنَاطَة خلال العصر الإسلامي، حيث أنه كان لا يَقلّ أهمية بتخطيطه وعمارته عن المساجد الجامعة بالحواضر الأنْدَلُسية الأخرى، وقد أَمْكَن من خلال هذه الدراسة رَصْد أهم النتائج التالية:

1- أَكَّدت الدراسة أن المسجد الأعظم في غَرْنَاطَة يَعُود تاريخ بنائه إلى عصر مُلوك الطوائف بالأندلس، غير أنه خلال العصر المُرابطي تَشَكَّلت ماهِيته، بحيث اكتملت عمارته، وتخطيطه وفق الطِّراز التَّقليدي، كما أُضيفت إليه ملاحقه الرئيسة، التي ظَلّ عليها طوال العصر الإسلامي إلى سقوط مدينة غَرْنَاطَة.

2- عَالجت الدراسة عديدًا من وجْهات نَظَر الباحثين الإسبان حول تخطيط وعمارة جامع غَرْنَاطَة، سواء فيما يَتعلق بمساحة وحُدود الجامع الخارجيّة، أو ما يَتعلق بمساحة بيت المُقَدِّم (بيت الصلاة) وعَدَد أروقته، وكذلك مساحة (عمق)

201- مونزر. رحلة. ص95.

202- سالم. قرطبة حاضرة الخلافة. جـ1، ص344- 345.

203- انظر: سالم. قرطبة حاضرة الخلافة. جـ1، ص345.

تلك الأروقة، فضلًا عن تخطيط وعمارة صحن الجامع، ومِن جهة أخرى، أَكَّدَت صحة المُعطيات التي أفاد بها- شاهد العَيَان- الرّحالة الألماني مُونزر حول جامع غَرْنَاطَة، خلافًا لآراء واستنتاجات أولئك الباحثين الإسبان.

3- تَوصَّلت الدراسة إلى أن مُقَدِّم الجامع الأعظم في غَرْنَاطَة خلال العصر الزِّيرِي (ق 5هـ/ 11م)، كان مُكونًا من سِت بائكات، بواقع ثلاثٍ على يمين المِحراب وأخرى مِثْلها عن يساره، ومع التوسعة الأولى للجامع خلال العصر المُرابطيّ (ق 6هـ/ 12م)، أصبح مُقَدِّم الجامع يتكون من ثماني بائكات، بواقع أربعٍ بكل جهة، إلا أنه في المرحلة الثانية من أعمال التوسعة خلال ذلك العصر، أصبح عَدَد بائكات المُقَدِّم تسع بائكات، بواقع خَمسٍ في الجهة الشرقية، مُقابل أربعٍ بالجهة الغربية، أما فيما يتعلق بالصحن، فلم يَكُ ثَمّ خلال العصر الزِّيرِي، أروقة (مُجنَّبات) حول الصحن، وإنما أُضيفَت تلك الأروقة- بواقع بائكة واحدة فقط بكل جهة من الجهات الثلاث- خلال العصر المُرابطي.

4- أَثْبتت الدراسة الصِّلة الوَثِيقة بين تخطيط وعمارة المسجد الأعظم في غَرْنَاطَة وبين جامع حاضرة قُرْطُبَة، الأمر الذي يؤكد على استمرار "الطِّراز المِعْماري القُرْطُبِيّ"، في العمارة الأنْدَلُسية إبَّان العصر المُرابطي، مثلما كان خلال عصر مُلوك الطوائف.

5- أَوْلَت الدراسة اهتمامًا بالحديث عن بعض مُلحقات الجامع، التي أَغْفلتها الدراسات السابقة، دراسة وتأريخًا، وقد ثَبَتَ أن أغلبها يرجع إلى العصر المُرابطي، في حين يعود بعضها إلى عصر بَنِي نَصْرٍ، اللاحق على ذلك العصر المُرابطي.

6- رَجَّحَت الدراسة نِسبة صومعة الجامع الأعظم في غَرْنَاطَة إلى عهد التأسيس، خلال عصر بني زِيرِي (ق 5هـ/ 11م)، بحيث ظلّت قائمة رغم عمليات التجديد والتوسعة الكبرى للجامع في العصر المُرابطي (ق 6هـ/ 12م)، كما أنها كانت من حيث عِمارتها وأسلوب بنائها، على غِرار صوامع جوامع الأندلس خلال عصر الخِلافة.

7- تَبَيّن من الدراسة أن للتأثيرات المعمارية الأُمَويّة المَشْرِقية حضورًا بجامع قُرْطُبَة، انعكس أَثَرها على عمارة المسجد الجامع في غَرْنَاطَة.

ثبت المصادر والمراجع

المصادر.

- ابن الأبار، أبي عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي. التكملة لكتاب الصلة. دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2011م.
- ابن بسام، أبي الحسن علي. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1417هـ/ 1997م.
- ابن بشتغير، أحمد بن سعيد. نوازل أحمد بن سعيد بن بشتغير اللورقي المالكي. دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1429هـ/ 2008م.
- ابن بشكوال، أبي القاسم خلف بن عبد الملك. الصلة. الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2008م.
- ابن بلقين، عبد الله. مذكرات الأمير عبد الله. دار المعارف بمصر، د.ت.
- الجزنائي، علي. جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس. المطبعة الملكية، الرباط، 1387هـ/ 1967م.
- ابن الحاج، أبي عبد الله محمد بن أحمد. نوازل ابن الحاج التجيبي. منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، تطوان، ط1، 1439هـ/ 2018م.
- ابن حجر، أحمد بن علي. فتح الباري بشرح صحيح البخاري. دار التقوى للتراث، القاهرة، د.ت.
- الحميري، محمد بن عبد المنعم. الروض المعطار في خبر الأقطار. مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م.
- ابن حيان، حيان بن خلف. المقتبس. السفر الخامس، منشورات المعهد الإسباني العربي للثقافة بالتعاون مع كلية الآداب بالرباط، مدريد، 1979م.
- ـــــــــــ. المقتبس في تاريخ الأندلس. دار الآفاق الجديدة، المغرب، ط1، 1411هـ/ 1990م.
- ـــــــــــ. المقتبس. السفر الثاني، منشورات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1424هـ/ 2003م.
- ابن الخطيب، أبي عبد الله محمد بن عبد الله. الإحاطة في أخبار غرناطة. تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1393هـ/ 1973م.
- ـــــــــــ. الإحاطة في أخبار غرناطة. شرح وضبط وتقديم: يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/ 2002م.
- الإدريسي، أبي عبد الله محمد بن محمد. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422هـ/ 2002م.
- ابن رشد، أبي الوليد محمد بن أحمد. فتاوى ابن رشد. دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1407هـ/ 1987م.
- ابن الزبير، أبي جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي. صلة الصلة. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1429هـ/ 2008م.
- ابن أبي زرع، علي. الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس. المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1420هـ/ 1990م.
- ابن سراج، أبي القاسم. فتاوى قاضي الجماعة أبي القاسم بن سراج الأندلسي. دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط2، 1427هـ/ 2006م.
- ابن سهل، أبي الأصبغ عيسى. الإعلام بنوازل الأحكام. الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1415هـ/ 1995م.
- ابن شاهين، زين الدين عبد الباسط بن خليل. الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم. المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1435هـ/ 2014م.
- ابن الصيرفي، أبي بكر يحيى بن محمد. الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية. دار النابغة، طنطا، جمهورية مصر العربية، ط1، 1439هـ/ 2018م.
- ابن عبد البر، أبي عمر يوسف بن عبد الله. الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه المؤطأ من معاني الرأي والآثار. دار قتيبة، دمشق، دار الوعى، حلب- القاهرة، ط1، 1414هـ/ 1993م.
- ابن عبد الملك، أبي عبد الله محمد بن محمد. الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة. دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2012م.
- ابن عذاري، أبي العباس أحمد بن محمد. البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب. دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 1434هـ/ 2013م.

- العذري، أحمد بن عمر بن أنس. نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك. منشورات معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، د.ت.
- العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. إصدار المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 1423هـ/ 2002م.
- ابن الفرضي، أبي الوليد عبد الله بن محمد. تاريخ علماء الأندلس. دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 1429هـ/ 2008م.
29- ابن لب، أبي سعيد فرج بن قاسم. تقريب الأمل البعيد في نوازل الأستاذ أبي سعيد. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/ 2004م.
- مجهول، مؤلف. الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية. دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1399هـ/ 1979م.
- مجهول، مؤلف. نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1423هـ/ 2002م.
- المقري، أحمد بن محمد. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. دار صادر، بيروت، 1388هـ/ 1968م.
- النباهي، أبو الحسن بن عبد الله. المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا. دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط5، 1403هـ/ 1983م.
- الونشريسي. أبي العباس أحمد بن يحيى. المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب. منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1401هـ/ 1980م.

المراجع.

- بالباس، ليوبولدو توريس. الفن المرابطي والموحدي. ترجمة: د. سيد غازي، دار المعارف بمصر، 1971م.
- ـــــــ. تاريخ إسبانيا الإسلامية. ترجمة: علي عبد الرءوف البمبي وآخرون، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2002م.
- براثاليس، خوان كاستيا، أوثال، أنطونيو أورويلا. بحثا عن غرناطة الأندلسية. ترجمة: د. بسام البزاز، د. صالح السنيدي، شركة تكوين للطباعة والنشر، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1443هـ/ 2021م.
- بورويبة، رشيد. الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية. ترجمة: إبراهيم شبوح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1399هـ/ 1979م.
- الجليلي، محمود. المكاييل والأوزان والنقود العربية. دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.
- دوزي، رينهارت. ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام. ترجمة: كامل الكيلاني، دار الوراق، بيروت، لبنان، ط1، 2015م.
- سالم، السيد عبد العزيز. قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس. دار النهضة العربية، بيروت، جـ2، 1972م.
- السنيدي، صالح محمد. المنشآت الدينية والعلمية في غرناطة الإسلامية ومصيرها بعد السقوط. شركة تكوين للطباعة والنشر، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1443هـ/ 2021م.
- عنان، محمد عبد الله. دولة الإسلام في الأندلس. مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001م.
- كريزويل، أ. س. الآثار الإسلامية الأولى. ترجمة: عبد الهادي عبلة، دار قتيبة، دمشق، سوريا، 1984م.
- مارسي، وليم، جورج. المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان. ترجمة: مراد بلعيد وآخرون، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1432هـ/ 2011م.
- مالدونادو، باسيليو بابون. الفن الطليطلي الإسلامي والمدجن. ترجمة: علي إبراهيم منوفي، منشورات المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2003م.
- ـــــــــ. العمارة في الأندلس: عمارة المدن والحصون. ترجمة: علي إبراهيم منوفي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2005م.
- ـــــــــ. العمارة الأندلسية: عمارة المياه. ترجمة: د. علي إبراهيم منوفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2008م.
- ـــــــــ. العمارة الإسلامية في الأندلس: عمارة القصور. ترجمة: علي إبراهيم المنوفي، منشورات المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2010م.

- ـــــــــــ. عمارة المساجد في الأندلس. ترجمة: د. علي إبراهيم منوفي، منشورات هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، ط1، 1432هـ/ 2011م.
- مخلوف، محمد بن محمد. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية. المطبعة السلفية، القاهرة، 1349هـ.
- مورينو، مانويل جوميث. الفن الإسلامي في إسبانيا. ترجمة: د. السيد عبد العزيز سالم، د. لطفي عبد البديع، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ت.
- Amador de los Rios. Inscripciones árabes de Córdoba. Madrid, 1880.
- Balbás, Leopoldo Torres. La mezquita mayor de Granada. AL-ANDALUS, Vol. X, 1945.
- Barreiro, Federico Wulff. Origen y evolución de la carpintería de armar hispano-musulmana. Tesis Doctoral, Universidad Politécnica de Madrid, 2010.
- Bloom, Jonathan .M, et Autres. Le Minbar de la Mosquée Kutubiyya. Ministère des Affaires Culturelles, Maroc, 1998.
- Cobaleda, Maria Marcos. Los Almorávides: Territorio, Arquitectura Y Artes Suntuarias. Tesis Doctoral, Universidad de Granada, Facultad de Filosofia Y Letras, Departamento de Historia del Art, 2010.
- González, Miguel Sobrino. Catedrales, Las Biografias desconocidas de los grandes Templos de Espana. La Esfera de los Libros, Madrid, 2009.
- Golvin, Lucien. Essai sur L´ Architecture Religieuse Musulmane. Paris, 1979.
- Marçais, Georges. L´ Architecture Musulmane d' Occident, Tunisie, Algerie, Maroc, Espagne et Sicile. Paris, 1954.
- Moreno, Manuel Espinar. Noticias para la Arqueología e Historia de Granada: Plano de la Mezquita Mayor de Granada de 1507 en poder de Cisneros. AL-QANTARA, XL1, enero-junio 2019.
- Moreno, Manuel Gómez. Guía de Granada. Granada, 1892.
- Puertas, Antonio Fernández. La mezquita aljama de Granada. MEAH, SECCIÓN ÁRABE-ISLAM 53, 2004.
- Sarr, Bilal. Un Analisis de la Granada ziri a traves de las Fuentes escritas y Arqueologicas. Studia Historica, Historia Medieval, Universidad de Salamanca, Salamanca, España, vol. 27, 2009.
- Terrasse, Henri. La Mosqée Al-Qaraouiyin à Fès. Paris, 1968.

مواقع الإنترنت:

https://www.adurcal.com/enlaces/mancomunidad/mapas/bne/musulmana.htm
httpswww.academiacolecciones.comarquitecturaarquitectura-al-andalus
httpswww.academiacolecciones.comarquitecturainventario.

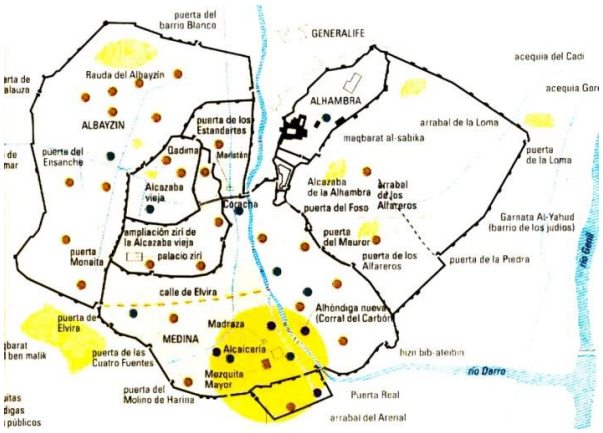

خريطة (1): غرناطة خلال العصر الإسلامي وموقع المسجد الأعظم منها، عن:
https://www.adurcal.com/enlaces/mancomunidad/mapas/bne/musulmana.htm

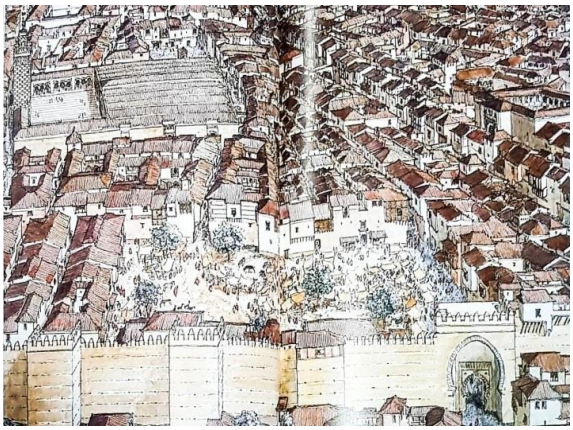

لوحة (1): موقع المسجد الأعظم داخل باب الرملة بمدينة غرناطة، عن:
براثاليس، أوثال. بحثا عن غرناطة. ص262.

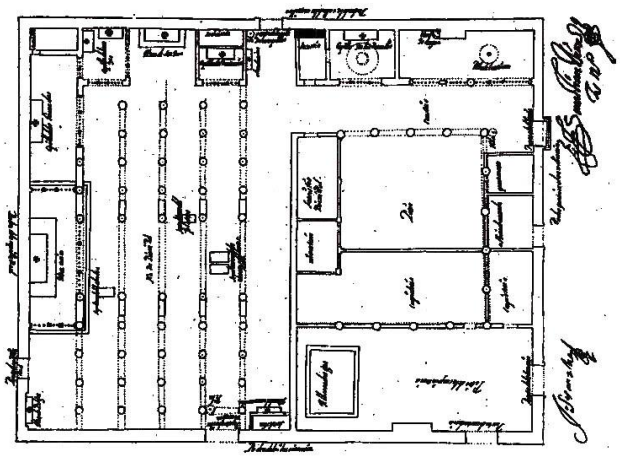

شكل (1): مخطط خوسي، وسيباستيان لجامع غرناطة عام 1704م، عن:
Puertas. La mezquita aljama. Lám. 11.

لوحة (2): المسجد الأعظم في غرناطة، مجتزأة من اللوحة رقم (1).

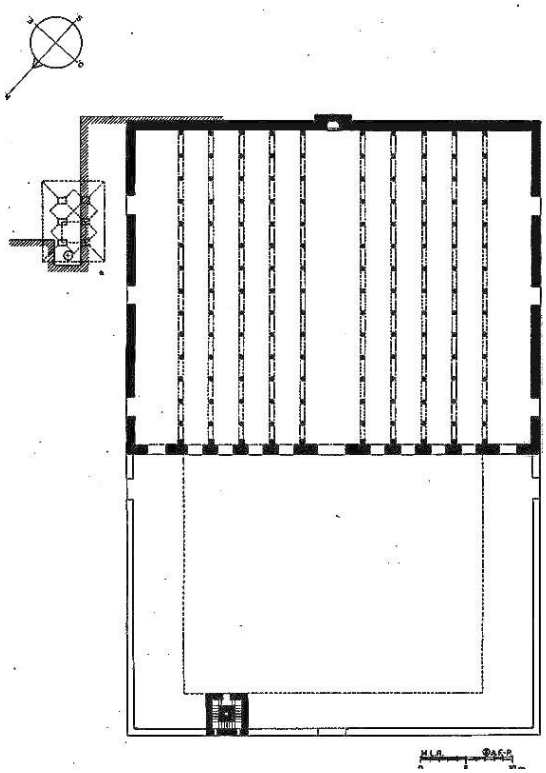

شكل (2): المسجد الأعظم في غرناطة، مسقط أفقي، عن:
Puertas. La mezquita aljama. P.58.

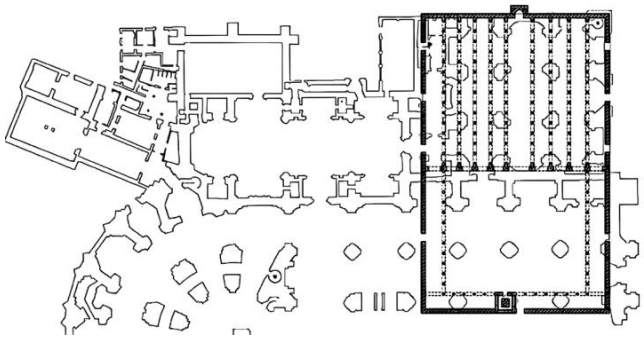

شكل (3): المسجد الأعظم في غرناطة، مسقط أفقي، عن:
httpswww.academiacolecciones.comarquitecturaarquitectura-al-andalus

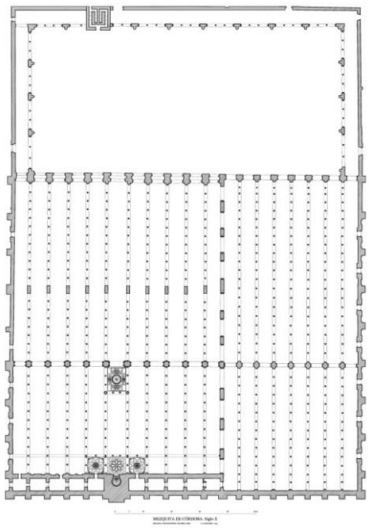

شكل (4): جامع قرطبة، مسقط أفقي، عن:
httpswww.academiacolecciones.comarquitecturainventario.

لوحة (3): أحد مداخل جامع الحمراء الملكي في غرناطة، عن:
براثاليس، أوثال. بحثا عن غرناطة. ص353.

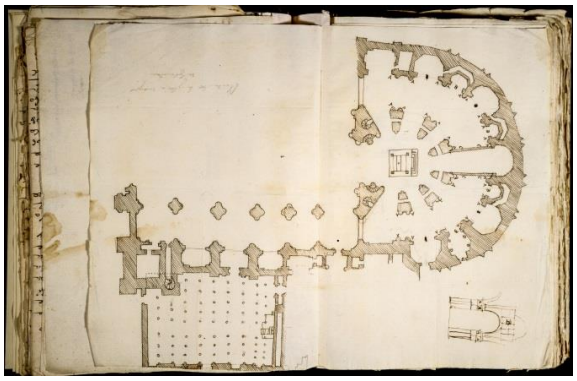

شكل (5): مخطط خُوان دي لا بِيغا لجامع غرناطة عام 1594م، عن:
(INSTITUTO VALENCIA DE DON JUAN, MADRID)

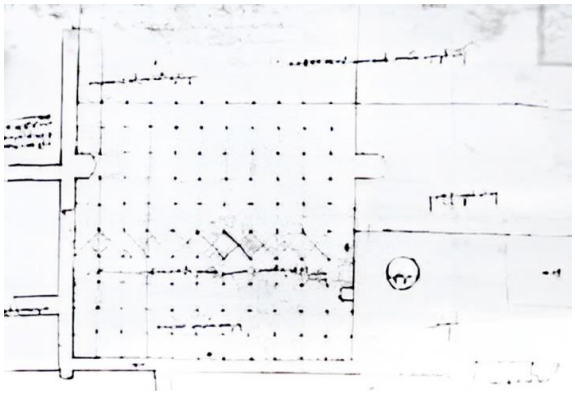

شكل (6): مخطط لجامع غرناطة فيما بين عامي 1505: 1527م، عن:
Moreno. Noticias para la Arqueología e Historia de Granada. P. 255.

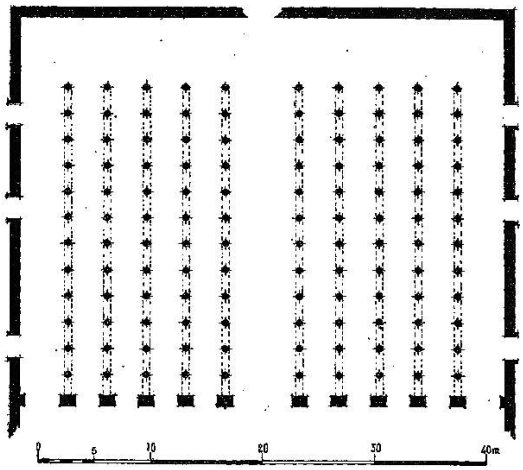

شكل (7): مخطط توريس بالباس لجامع غرناطة، عن:
Balbás. La mezquita mayor. P. 419.

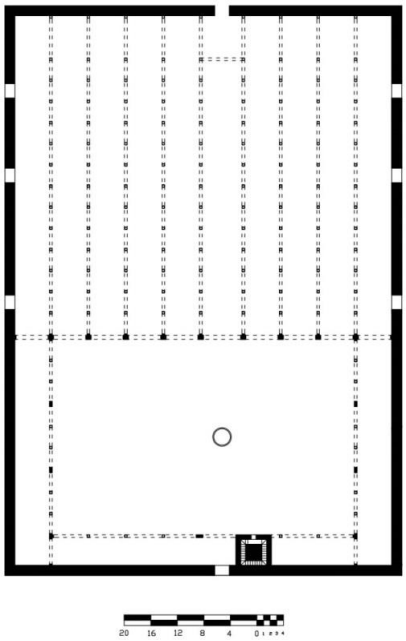

شكل (8): المسجد الأعظم في غرناطة خلال العصر المرابطي، مسقط أفقي (عمل الباحث).

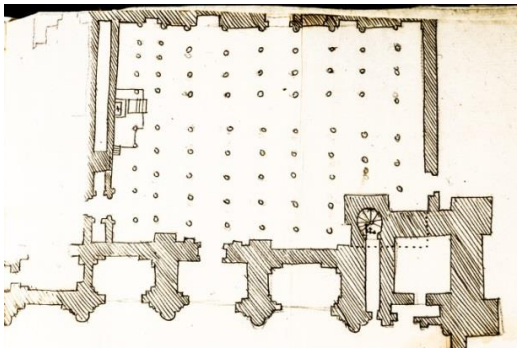

شكل (9): مخطط خُوان دي لا بيغا لجامع غرناطة عام 1594م، مجتزأ من الشكل رقم (5).

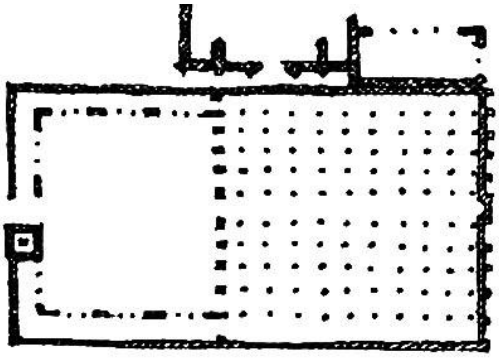

شكل (10): مخطط ديغو دي سيلوي لجامع غرناطة، عن:
González. Catedrales. P. 215.

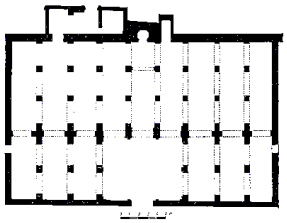

شكل (11): جامع ندرومة، مسقط أفقي، عن:
Golvin. Essai Sur L´Architecture. T.4, P. 173, Fig. 61.

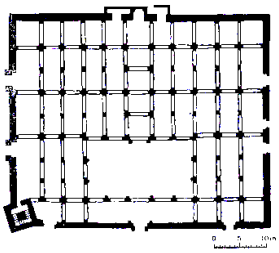

شكل (12): جامع جزائر بني مزغنة، مسقط أفقي، عن:
Marçais. L´Architecture Musulmane d'Occident. P. 191, Fig. 122.

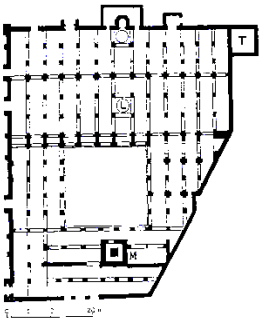

شكل (13): الجامع الأعظم في تلمسان، مسقط أفقي، عن:
Marçais. L´Architecture Musulmane d'Occident. P. 192, Fig. 123.

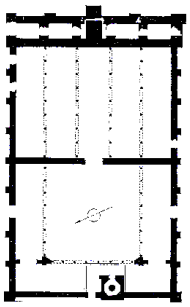

شكل (14): جامع مدينة الزهراء بقرطبة، مسقط أفقي، عن:
Golvin. Essai Sur L´Architecture. T.4, P. 97, Fig. 23.

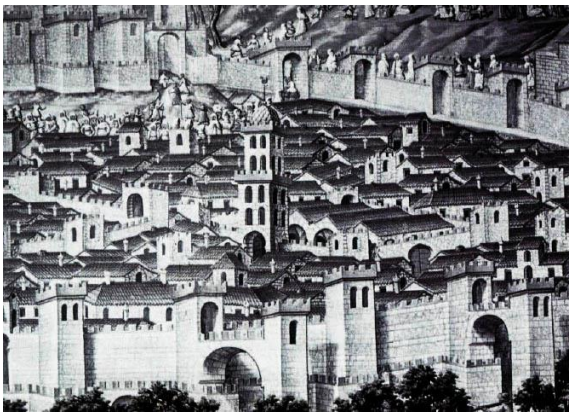

لوحة (4): تمثيل لصومعة جامع غرناطة بلوحة معركة "إيغيرويلا"، عن:
Puertas. La mezquita aljama. Lám. 1.

لوحة (5): تمثيل لصومعة جامع غرناطة، من عمل هيلان، عام 1614م، عن:
Puertas. La mezquita aljama. Lám. 10.

لوحة (6): صومعة "سان خوسي" بالقصبة القديمة في غرناطة، عن:
httplegadonazari.blogspot.com201401alminar-de-san-jose.html

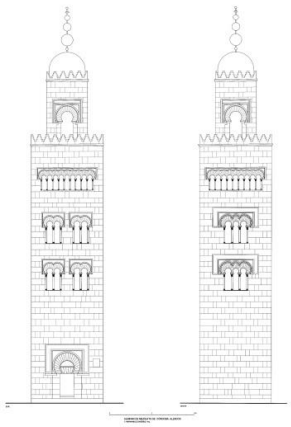

شكل (15): تصور لصومعة جامع قرطبة خلال العصر الإسلامي، عن:
httpswww.academiacolecciones.comarquitecturainventario.

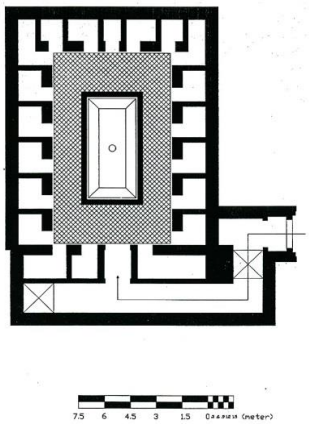

شكل (16): دار وضوء جامع المدرسة البوعنانية بفاس، مسقط أفقي (عمل الباحث).

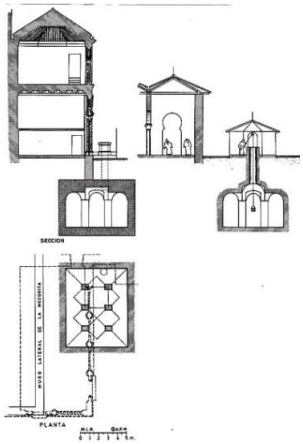

شكل (17): الجب في المسجد الأعظم بغرناطة، مسقط أفقي، قطاع رأسي، عن:
Puertas. La mezquita aljama. P. 62, Fig. 3.